

تجليد
صالح الدقر
بيروت - المزوعة

297.4:I13wA

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد
بن أبي بكر.

الوابل الصيب من الكلم الطيب.

297.4
I13wA

~~ET OCT 1973~~

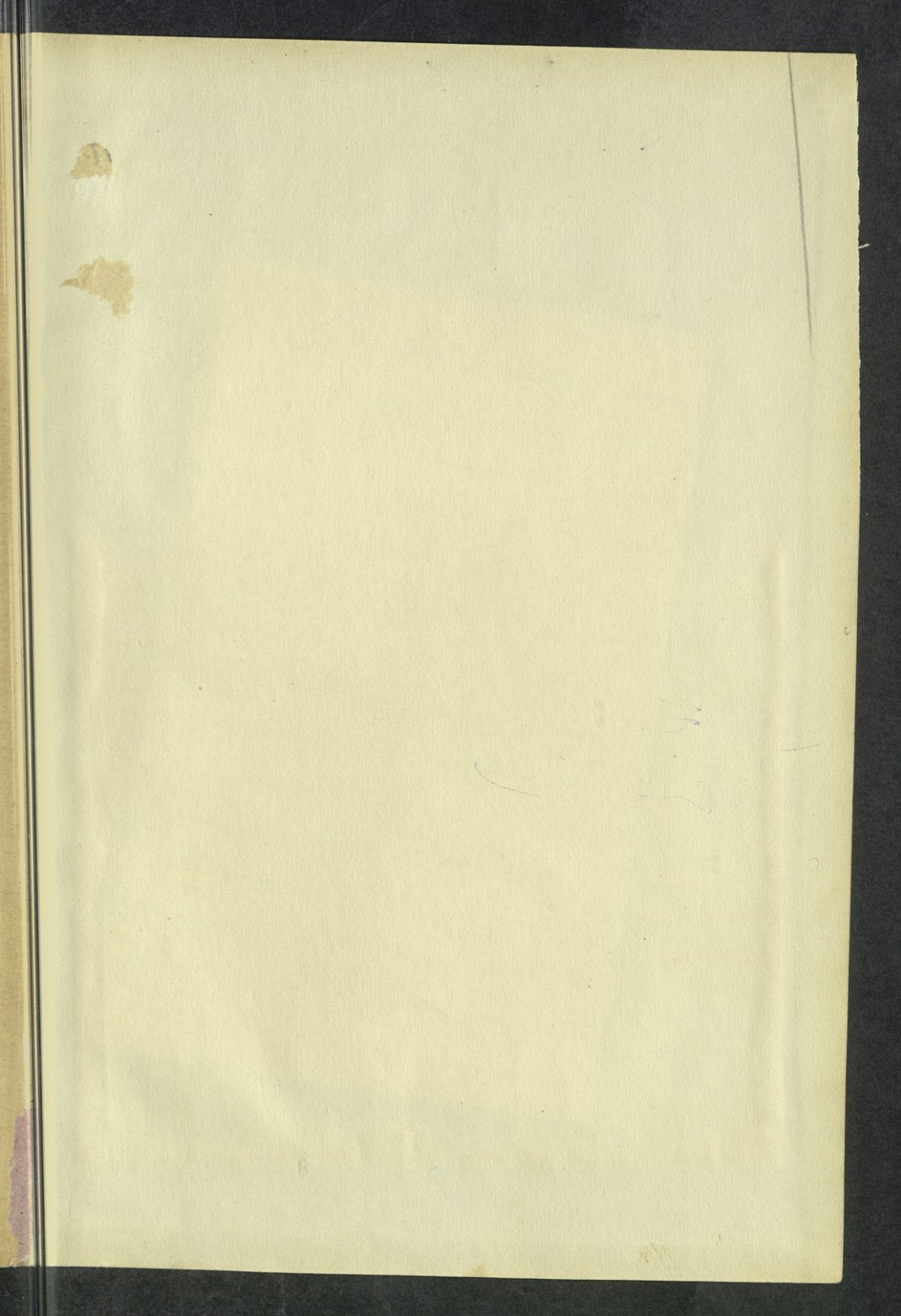
~~1 FEB 1974~~

JAFET LIB.

~~- 5 JAN 1975~~

JAFET LIB.

~~2 FEB 1990~~



297.4
I13WA
C.1

الْوَيْلُ لِلصَّبِّ
مِنْ الْكَلَمِ الطَّيِّبِ

تأليف

الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد الشيرازي بن القيم الجوزية

المتوفى سنة ٧٥١ هـ

عنيت بالتعليق عليه

إدارة الطباعة المنيرية

الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٣ هـ

يطلب من

مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده

ببيتان الأديرة بضم. ت. ٤٨٥٨٠

مطبعة المحمدية الجديدة

شارع المعز لدين الله حارة الطواقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الله سبحانه وتعالى المسئول
المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة ، وأن يسمع عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة ، وأن يجعلكم من إذا أنعم عليه شكر ، وإذا ابتلى صبر ،
وإذا أذنب استغفر ، فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد وعلامة
فلاحه في دينه وأخراه ولا ينفك عبد عنها أبداً فإن العبد دائماً يتقلب
بين هذه الأطباق الثلاث : نعم من الله تعالى له تترادف عليه فقيدتها
الشكر وهو مبني على ثلاثة أركان : الاعتراف بها باطنا والتحدث بها
ظاهراً وتصريفها في مرضاة وليها ومسدئها ومعطيها . فإذا فعل ذلك فقد
شكرها مع تقصيره في شكرها .

(الثاني) نحن من الله تعالى يتلوه بها ففرضه فيها الصبر والتسلي والصبر
حبس النفس عن التسلط بالمقدور وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح
عن المعصية كاللطم وشق الثياب وتف الشعر ونحوه فمدار الصبر على هذه الأركان
الثلاثة فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت الحمة في حقه منحة واستحالت للبلية
عطية وصار المكروه محبوباً فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله إهلكه وإنما
ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته فإن الله تعالى على العبد عبودية في الضراء كما
له عليه عبودية في السراء وله عبودية عليه فيما يكره كما له عليه عبودية فيما
يحب وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون فقط والشأن في إعطاء العبودية
في المسكاره فقيه تتفاوت مراتب العباد وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى
فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها

عبودية . و تفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية ، هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية ، وتركه المصيبة التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية ، وتفقته في الضراء عبودية ولكن فرق عظيم بين العبودتين

فمن كان عبداً لله في الحالتين قائمة بحقه في المكروه والمحجوب فذلك الذي تناوله قوله تعالى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ؟) وفي القراءة الأخرى (عبادته) وهما سواء لأن المفرد مضاف فيعم عموم الجمع (١) فالكفاية التامة مع العبودية التامة . والناقصة مع الناقصة فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه

وهؤلاء هم عباد الله الذين ليس لعدوه عليهم سلطان قال تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) ولما علم عدو الله إبليس أن الله تعالى لا يسلم عباده إليه ولا يسلطه عليهم قال (فَبِعِزَّتِكَ لَا غَوْيَنَهُمْ أَجْمَعِينَ) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) وقال تعالى (وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّيهِ الْآخِرَةَ بِمَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ)

(١) قال ابن جرير : اختلفت القراءة في قراءة (أليس بكاف عبده) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة (أليس الله بكاف عباده) على الجماع . بمعنى : أليس الله بكاف محمداً وأنبياءه من قبله ما خوفهم أمهم من أن تنالهم أهنتهم بسوء وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (بكاف عبده) على التوحيد . بمعنى أليس الله بكاف عبده محمداً ؟

فلم يجعل لعدوه سلطاناً على عبادته المؤمنين . فانهم في حُرْزِهِ وكَلَامِهِ وحفظه وتحت كنفه وإن اغتال عدوه أحدهم كما يقتال اللص الرجل العاقل فهذا لا بد منه . فإن العبد قد بلى بالغفلة والشهوة والغضب ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة . ولو احترز العبد ما احترز فلا بد له من غفلة ولا بد له من شهوة . ولا بد له من غضب

وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلق وأرجحهم عقلاً وأثبتهم ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه فما الظن بفراشة الحلم (١) ومن عقله في جنب عقل أبيه كمتفلة في بحر ؟ ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة وعلى غرة وغفلة فيوقعه . ويظن أنه لا يستقبل ربه عز وجل بعدها وأن تلك الواقعة قد اجتاحتها وأهلكته وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله

فاذا أراد بعبد خيراً فتح له أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته حتى يقول عدو الله يا ليتني تركته ولم أوقعه

وهذا معنى قول بعض السلف . إن العبد لعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار . قالوا : كيف ؟ قال يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفاً منه مشفقاً وجلاً باكياً نادماً مستحياً من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منهكسر القلب له فيكون ذلك ذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة ويفعل الحسنة فلا يزال يمين بها على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه شيئاً ويعجب بها ويستطيل بها ويقول : فعلت وفعلت فيورثه من العجب والكبر

(١) أي أن حله بالنسبة إلى آدم حتى فإن الفراشة أشد شيئاً حمقاً إذ ترمى نفسها على النار

والفخر والاستطالة يكون سبب هلاكه - فاذا أراد الله تعالى هذا المسكين خيرا ابتلاه بأمر يكسره به ويدل عنقه ويصغره به نفسه عنده وان أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره (١) وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه فإن العارفين كلهم يجمعون على أن التوفيق هو أن لا يكلك الله تعالى الى نفسك والخذلان أن يكلك الله تعالى الى نفسك

فمن أراد الله به خيرا فتح له باب النذل والانكسار ودوام اللجأ الى الله تعالى والافتقار اليه ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها ومشاهدة فضل ربه واحسانه ورحمته ووجوده وبره وغناه وحمده .

فالعارف سائر الى الله تعالى بين هذين الجناحين (٢) لا يمكنه أن يسير إلا بهما فتي فاته واحد منها فهو كالطير الذي فقد إحدى جناحيه .
قال شيخ الاسلام : (٣) العارف يسير الى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل .

وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من حديث بريدة رضى الله تعالى عنه [سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب الا أنت] (٤)

(١) أخذ ابن عطاء الله الاسكندرى هذا المعنى فجعله فى جملة من حكمته قال : وب معصية أورثت ذلا وانكسارا خيرا من طاعة أورثت عزا واستكبارا
(٢) الجناح الاول شهود عيوب النفس وجهلها ونقصها وعدوانها والجناح الثانى : شهود فضل ربه واحسانه ووجوده وبره .

(٣) هو الامام ابن تيمية رضى الله عنه

(٤) رواه الامام أحمد والبخارى والنسائى .

فجمع في قوله صلى الله عليه وسلم «أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي»
 مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل فمشاهدة المنة توجب له المحبة
 والحمد والشكر لولى النعم والإحسان ومطالعة عيب النفس والعمل توجب
 له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت وأن لا يرى نفسه إلا
 مفلساً وأقرب باب يدخل منه العبد على الله تعالى هو باب الإفلاس . فلا
 يرى لنفسه حلاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها ، بل
 يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض ، دخول من
 قد كسر الفقر والمسكنة قلبه ، حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع
 وتملته الكسرة من كل جهاته وشهد ضروره إلى ربه عز وجل وكال
 فاقته وفقره إليه وأن كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة
 كاملة إلى ربه تبارك وتعالى وأنه إن تحلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة
 لا تجبر إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته ولا طريق إلى الله تعالى أقرب
 من للعبودية ولا حجاب أغلظ من الدعوى

والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلهما : حب كامل وذل تام ومنشأ هذين
 الأصلين عن ذيك الأصلين المتقدمين وهما مشاهدة المنة التي تورث المحبة ومطالعة
 عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام

وإذا كان العبد قد نفي سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه
 به إلا على غرة وغيلة وما أسرع ما يتعشقه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته .

(فصل)

وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه ، فاستقامة القلب بشيئين
 (أحدهما) أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب .

فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه ،
 فرتب على ذلك مقتضاه ، وما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل ،
 وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان . وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو
 ويهواه ، أو يحبه كبيره وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله تعالى . فهذا
 لم تقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب ، ولا كانت هي الملكة المؤمرة
 عليها ، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينقصها عليه
 ولا ينال شيئاً منها إلا بنكد وتنقيص ، جزاء له على إثثار هواه وهوى
 من يعظمه من الخلق ، أو يؤثر محبته على محبة الله تعالى . وقد قضى الله
 تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع أن من أحب شيئاً سواه عذب به ولا بد ،
 وأن من خاف غيره سلط عليه ، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤماً
 عليه . ومن آثره غيره لم يبارك فيه ، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه
 عليه ولا بد

(الأمر الثاني) الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي ، وهو ناشئ
 عن تعظيم الأمر الناهي : فإن الله تعالى ذم من لا يعظمه ولا يعظم أمره ونهيه
 قال سبحانه وتعالى (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قالوا في تفسيرها ما لكم
 لا تخافون الله تعالى عظمة .

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي : هو أن
 لا يعارضاً بترخص جاف ، ولا يعارضاً بتشديد غال ولا يحملاً على
 توهم الانقياد .

ومعنى كلامه أن أول مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيم أمره ونهيه .
 وذلك لأن المؤمن يعترف ربه عز وجل برسالته التي أرسل بها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إلى كافة الناس ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه وإنما يكون ذلك
 بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه وتعظيم نهيه واجتماعه فيسكون تعظيم

المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالاً على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي ، ويدلون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق ، وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر . فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق و طلب المنزلة والجاه عندهم ويتبنى المناهى خشية سقوطه من أعينهم ، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع صلى الله عليه وسلم على المناهى فهذا ليس فعلة وتركه صادراً عن تعظيم الأمر والنهي ، ولا تعظيم الأمر الناهي . فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها . والتفتيش على أركانها وواجباتها وكما لها والحرص على تحييتها في أوقاتها والمساورة إليها عند وجوبها والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها ، كمن يحزن على فوت الجماعة ويعلم أنه لو تقلبت منه صلاته منفرداً فإنه قد فاتته سبعة وعشرون ضعفاً : ولو أن رجلاً يعانى البسيع والشراء يفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة سبعة وعشرون ديناراً لأكل يديه ندماً وأسفاً فكيف وكل ضعف عما تضاعف به صلاة خير من ألف وألف ألف وما شاء الله تعالى فإذا فوت العبد على نفسه هذا الربح - وكثير من العلماء يقول : لا صلاة له - وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع لها . فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه وكذلك إذا فاتته أول الوقت الذي هو رضوان الله تعالى أوقاته الصف الأول الذي يصلى الله وملائكته على ميامنه . ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ولكانت قرعة وكذلك . لو فوت الجميع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثيرته وقلته . كلما كثر الجمع كان أحب إلى الله عز وجل وكلما بعدت الخطأ كانت خطوة تحط خطيئة وأخرى ترفع درجة :

الرب

وكذلك لو فوت الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها بين يدي العزب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولها . فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدين ميت لا روح فيه أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً أو

جارية ميتة ؟ فلما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية بمن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره ؟ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذه الأمة أو العبد الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا ولا يثيبه عليها فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في السنين ومسند الامام أحمد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن العبد ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها إلا خمسها حتى بلغ عشرها » [

وينبغي أن يعلم أن سائر الاعمال تجري هذا المجرى فتفاضل الاعمال عند الله تعالى بمفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر السيئات تكفيراً كاملاً والناقص بحسبه .

وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهما تفاضل الاعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه وبهذا يزول الاشكال الذي يورده من نقص حظه من هذا الباب على الحديث الذي فيه « إن صوم يوم عوفة يكفر سنتين ويوم عاشوراء سنة » قالوا : فإذا كان دأبه دائماً أنه يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة ؟ (١)

(١) قال الاستاذ المرحوم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله وجعل الجنة مثواه ومن هذا الباب قول أهل الدعاية الغافلين إن جسمى صام يوم عاشوراء إلى الظهر . وقال : يكفي تكفير ستة أشهر وهذه الدعاية تدل جهل مورد الاشكال من حيث بناء كل منهما على جعل أحاديث التكفير من الامور المادية التي يقابل كل منها مثله . فإذا زاد بعض المتقابلين على الآخر كان الزائد من الحسنات المكفرة عبثاً لعدم وجود ما يكفره —

وأجاب بعضهم عن هذا بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجات وبالله العجب فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه سيئاته باجتماع بعضها إلى بعض

والتكفير بهذه مشروط بشرط ووقوف على انتفاء موانع في العمل وخارجه فان علم العبد أنه جاء بالشروط كلها وانتقت عنه الموانع كلها حينئذ يقع التكفير وأما عمل شملته الغفلة أو شملت أكثره وقد الإخلاص الذي هو روحه ولم يوف حقه ولم يقدره حتى قدره فأى شيء يكفر هذا ؟ فان وثق العبد من عمله بأنه وفاه حقه الذى ينبغي له ظاهراً وباطناً

وكان الزائد من الذنوب المحتاجة إلى التكفير باقيا كذنوب نصف سنة جحى . وإنما هذه تقديرات معنوية لتأثير إزالة الحسنات لآثر السيئات من النفس وأظهر مثال حسبي لها ما ورد في الحديث الصحيح من تشبيه تكفير الصلوات الخمس للذنوب بجريان نهر على باب أحدكم يقتسل فيه في اليوم واليلة خمس مرات . فهل يبقى عليه ذلك من دون أى قدر

ومثله أن تقول : إن ما على هذا الثوب من وسخ لا يزيله إلا غسله ثلاث مرات — بالصابون وتقول في وسخ آخر : لا بد من غسله خمس مرات وزيادة الغسل به ذهاب الوسخ لا يزيد الثوب إلا نظافة . هل أن الأصل في الحسنات أن تكون فائدتها موجبة لا سالبة ومثبتة لا نافية وتحلية لا تخلية فانها كما تزكى النفس وتطهرها مما يعلق بها من أدلن المعاصي تحليها بقوة الإيمان والتقوى وحب الله ورسوله وأوليائه والرغبة في البر والخير وما يقابل ذلك فاذا لم تكن النفس مدنسة بالمعاصي أو كان دنسها قليلا يزول بعض الحسنات — كل تأثير الأعمال الصالحة في التحلية الإيجابية أقوى وأكمل فما أجمل هؤلاء الحسين بحكم الدين وأسراره وما أجملهم بأنفسهم أيضا .

ولم يعرض له ما نفع يمنع تكفيره ولا يبطل يحبطه من عجب أورؤية نفسه فيه أو يمن به أو يطلب من العباد تعظيمه به أو يستشرف بقلبه لمن يعظمه عليه أو يعادى من لا يعظمه عليه ويرى أنه قد بخسه حقه وأنه قد استهان بحرمته فهذا شيء يكفر؟

ومحبطات الاعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر وليس الشأن في العمل إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسد ومحبطه.

قال رياه - وإن دق - محبط للعمل وهو أبواب كثيرة لا تحصر.

وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضا وموجب لكونه باطلا والمن به على الله تعالى بقلبه مفسد له وكذلك المن بالصدقة والمعروف والبر والاحسان والصلة مفسد لها كما قال سبحانه وتعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) وأكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التي تحبط الحسنات وقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) فحذر المؤمن من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يجهر بعضهم لبعض وليس هذا بردة بل معصية تحبط العمل وصاحبها لا يشعر بها فإلا الظن بمن قدم على قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه؟ أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر؟

ومن هذا قوله ﷺ [من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله] (١) ومن هذا قول عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها يزيد بن أرقم رضي الله عنه

(١) رواه البخاري ومسلم عن بريدة رضي الله عنه

عنه لما باع بالعينة (١) [لأنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب]
وليس التبايع بالعينة ردة وإنما غاية أنه معصية

فعرفة ما يفسد الاعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يفتش عليه العبد ويحرص على عمله ويحذره . وقد جاء في أثر معروف [أن العبد ليعمل العمل سرا لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى فيحدث به فينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية ثم يصير في ذلك الديوان على حسب العلانية (٢) فان تحدث به للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله تعالى أبطاله كما لو فعله لذلك فان قيل : فإذا تاب هذا هل يعود إليه ثواب العمل ؟

قيل . إن كان قد عمله لغير الله تعالى وأوقعه بهذه النية فانه لا ينقلب صالحا بالتوبة . بل حسب التوبة أن تمحو عنه عقابة فيصير لاله ولا عليه وأما إن عمله لله تعالى خالصا ثم عرض له عجب ورياء أو تحدث به

(١) العينة أن يبيع شيئا من غيره بضمن مؤجل ويسلمه إلى المشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بضمن نقد أقل من ذلك الثمن الاول

(٢) قال المنذري وروى عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال [إن الاتقاء على العمل اشد من العمل ، وإن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضعف اجزه سبعين ضعفا فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فيكتب علانية ويمحي تضعيف اجزه كله ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس الثانية أو يحب ان يذكر به ويحمد عليه فيمحي من العلانية ويكتب رياء ، فاتق الله امرؤ صان دينه ، وإن الرياء شرك] رواه البيهقي وقال هذا من افراد بقية بن الوليد عن شيوخه قال الحافظ المنذري اظنه موقوفا والله اعلم

ثم تاب من ذلك وندم . فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط وقد يقال أنه لا يعود إليه بل يستأنف العمل

والمسألة مبينة على أصل وهو أن الردة هل تحبط العمل بمجردا أو لا يحبطه إلا الموت عليها ؟ فيه للعلماء قولان مشهوران ، وهما روايتان عن الإمام أحمد رضى الله عنه

فإن قلنا تحبط العمل بنفسها ففى أسلم استأنف العمل لإبطال ما كان قد عمل قبل الإسلام وإن قلنا لا يحبط العمل إلا إذا مات مرتدا ، ففى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله

وهكذا العبد إذا فعل حسنة ثم فعل سيئة تحبطها ثم تاب من تلك السيئة هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة يخرج على هذا الأصل ولم يزل فى نفسى من هذه المسئلة ، ولم أزل حريصا على الصواب فيها وما رأيت أحدا شفى فيها

والذى يظهر - والله تعالى أعلم وبه المستعان ولا قوة إلا به - أن الحسنات والسيئات تتدافع وتقابل ويكون الحكم فيها للغالب وهو يقهر المغلوب ويكون الحكم له حتى كأن المغلوب لم يكن فإذا غلبت على العبد الحسنات رفعت حسناته الكثيرة سيئاته ومضى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة ، قد تربي وتزيد على الحسنة التى حبطت بالسيئة فإن عزمت التوبة وضحت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات حتى كأنها لم تكن [فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له] (١)

(١) رواه ابن ماجه والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود رفعه قال السخاوى فى المقاصد الحسنة ورجاله ثقات بل حسنه شيخنا - يعنى الحافظ ابن حجر - يعنى اشواهد وقد روى من عدة طرق كلها ضعيفة ؛

وقد سأل حكيم بن حزام رضى الله عنه النبي ﷺ عن عتاقة وصلة وبر فعله في الشرك هل يثاب عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم [أسألت على ما أسألت من خير] (١) فهذا يقتضى أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحا صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات وأعادت عليه ثواب حسناته

يوضح هذا أن السيئات والذنوب هي أمراض قلبية وكما أن الحمى والأوجاع أمراض بدنية . والمريض إذا عوفي من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها حتى كأنه لم يضعف قط فالقوة المتقدمة بمنزلة الحسنات والمرض بمنزلة الذنوب والصحة والعافية بمنزلة التوبة وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبدا لضعف عافيته ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها وعود البدن إلى كماله الأول ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض حتى ربما كان مرض هذا سببا لعافيته كما قال الشاعر

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

فهكذا العبد بعد التوبة على هذا المنازل الثلاث والله الموفق لإله غيره ولا رب سواه

(فصل)

وأما علامات تعظيم المناهى : فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها ومجانبة كل وسيلة تقرب منها كن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الاقتتان بها وإن يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في

(١) رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم .

المكروه ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها ويتهاون بها ولا يبالي
ماركب منها فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه ولا يخالطه
إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته

ومن علامات تعظيم النهي : أن يغضب الله عز وجل إذا انتهكت محارمه وإن
يحدق في قلبه حونا وكسرة إذا عصى الله تعالى في أرضه ولم يطع بإقامة حدوده وأوامره
ولم يستطع هو أن يغير ذلك

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي : أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون
صاحبه جافيا غير مستقيم على المنهج الوسط

مثال ذلك أن السسنة وردت بالابرد بالظهر في شدة الحر (١)
فالترخص الجافى أن يبرد إلى فوات الوقت أو مقاربة خروجه فيكون
مترخصا جافيا

وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور
ويفعل العبادة بتكره وضجر . فمن حكمة الشارع صلى الله عليه وسلم أن أمرهم
بتأخيرها حتى يتكسر الحر فيصلى العبد بقلب حاضر ويحصل له مقصود الصلاة
من الخشوع والاقبال على الله تعالى

ومن هذا نهيه صلى الله عليه وسلم أن يصلى بحضرة الطعام أو عند مدافعة
البول والغائط (٢) لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة
الصلاة ولا يحصل المراد منها فمن فقه الرجل في عبادته أن يقبل على شغله

(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم » رواه البخارى
ومسلم وأصحاب السنن .

(٢) عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان » رواه مسلم

فيعمله ثم يفرغ قلبه للصلاة فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالى ونصب وجهه
له وأقبل بكليته عليه فركعتان من هذه الصلاة يغفر البصلي بهما ما تقدم من
ذنبه والمقصود أن لا يترخص ترخصا حافيا

ومن ذلك : أنه رخص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر وتعدر
فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السير وتعدر النزول أو تعسره عليه فإذا أقام
في المنزل اليومين والثلاثة أو أقام اليوم لجمعه بين الصلاتين لا موجب له
لتسكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة فالجمع ليس سنة راتبة (١) كما
يعتقد أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع سواء وجد هذر أو لم يوجد بل
بل الجمع رخصة عارضة والقصر سنة راتبة فسنة المسافر قصر الرباعية سواء كان
له هذر أو لم يكن . وأما جمعه بين الصلاتين فحاجة ورخصة فهذا لون وهذا لون
ومن هذا : أن الشبوع في الأكل رخصة غير محرمة فلا ينبغي أن
يحفو العبد فيها حتى يصل به الشبوع إلى حد التخمة والامتلاء فيطلب ما يصرف
به الطعام فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع
ويدع الطعام وهو يشتهي وميزان ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم
« ثلث طعامه وثلث شرابه وثلث لنفسه » (٢) ولا يجعل الثلاثة إلا ثلاث
كلها للطعام وحده .

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي فهو كمن يتوسوس في
الوضوء متغاليا فيه حتى يفوت الوقت أو يردد تسكيرة الإحرام إلى أن
تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة ، أو يكاد تفوته الركعة ، أو يتشدد في
الورع الغالي حتى لا يأكل شيئا من طعام عامة المسلمين خشية دخول

(١) ليس المراد هنا بالسنة ما يقابل الفرض والواجب وإنما المراد بها
الهدى النبوي والطريقة الحمديدية التي كان عليه السلام يواظب عليها .

(٢) رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان عن المقدم بن معد يكرب

الشبهات عليه . ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العباد الذين نقص حظهم من العلم حتى امتنع أن يأكل شيئاً من بلاد الإسلام : وكان يتقوت بما يحمل إليه من بلاد النصارى . ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك . فأوقعه الجمل المفرط والغلو الزائد في إساءة الظن بالمسلمين . وحسن الظن بالنصارى . فعوذ بالله من الخذلان .

حقيقة التعظيم للأمر والنهي : أن لا يعارضاً بترخص جاف ، ولا يعرضاً لتشديد غال . فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصول إلى الله عز وجل بسالكه .

وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان : إما تقصير وتقريط ، وإما إفراط وغلو ، فلا يزال بما ظفر من العبد من الخطيئتين فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشيمه (١) فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة ، فشبطه وأقعده ، وضربه بالكسل والتواني والفتور وفتح له باب التأويلات والرجاء ، وغير ذلك حتى ربما ترك العبد المأمور جملة وإن وجد عنده حذراً وجدأ وتشميراً وتهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد ، وسول له أن هذا ما يكفيك وهمتك فوق هذا ، وينبغي لك أن تزيد على العاملين ، وأن لا ترقد إذا رقدوا ولا تفطر إذا فطروا ، وأن لا تفتر إذا افتروا ، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعاً ، وإذا توضأ للصلاة فاغسل أنت لها ، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي ، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدى الصراط المستقيم ، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه

(١) أصل الشيم النظر إلى البرق ومن شأنه أن يبدو ويخفى بسرعة فشبه استراق الشيطان للنظرة والتطلع إلى القلب بذلك

ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه ، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه ، وقد فتن بهذا أكبر الخلق ولا ينجى من ذلك إلا علم راسخ ، وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط والله المستعان

ومن علامات تعظيم الأمر والنهى : أن لا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عز وجل ، بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه ممثلاً ما أمر به سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر فإن ظهرت له حكمة الشرع فى أمره ونهيه حمله أذلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمفتسبين إلى التصوف فإن الله عز وجل شرع الصلوات الخمس إقامة لذكره واستمالة للقلب والجوارح واللسان فى العبودية وإعطاء كل منها قسطه من العبودية التى هى المقصود بخلق العبد فوضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية .

فإن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الآدمى واختاره من بين سائر البرية وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والحياة والتعظيم والمراقبة وجعل ثوابه إذا قدم عليه أكل الثواب وأفضله وهو النظر إلى وجهه والفوز برضوانه ومجاورته فى جنته وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه فهو يدخل عليه من الأبواب التى هى من نفسه وطبعه فتميل نفسه معه لأنه يدخل عليها بما تحب فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد ثلاثة مساطون أمرون فيسعون الجوارح فى قضاء وطهرهم ، والجوارح آلة منقادة فلا يمكنها إلا الانبعاث فهذا شأن هذه الثلاثة وشأن الجوارح فلا تزال الجوارح فى طاعتهم كيف أمروا وأين يموا هذا مقتضى حال العبد فاقتضت رحمة ربه

العزیز الرحیم به إن أعانہ بمجد آخر وأمدہ بمدد آخر یقاوم به هذا الجند الذی یرید ہلاکہ فأرسل إلیہ رسولہ وأنزل علیہ کتابہ وأیدہ بملک کریم یقابل عدوہ الشیطان فاذا أمرہ الشیطان بأمر أمرہ الملك بأمر ربہ وبین لہ ما فی طاعة العدو من الهلاک فهذا یلم بہ مرة وهذا مرة والمنصور من نصرہ الله عز وجل والمحفوظ من حفظہ الله تعالی

وجعل لہ فی مقابلة نفسه الامارة نفساً مطمئنة إذا أمرته النفس الامارة بالسوء نھتہ عن النفس المطمئنة وإذا نھتہ الامارة عن الخیر أمرته بہ النفس المطمئنة . فهو یطیع هذه مرة وهذه مرة وهو الغالب علیہ منہما . وربما انتھرت إحداهما بالکلّیة قهراً لا تقوم معہ أبداً .

وجعل لہ مقابل الهوى الحامل لہ على طاعة الشیطان والنفس الامارة نوراً وبصيرة عقلاً یردہ عن الذهاب مع الهوى . فکلما أراد أن یذهب من الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور . الحذر الحذر . فان المہالك والمتائف بین یدیک وأنت صید للصوص وقطاع الطريق . إن سرت خلف هذا الدلیل . فهو یطیع الناصح مرة ، فیبین لہ رشده ونصحه یمشی خلف دلیل الهوى مرة فیقطع علیہ الطريق ویؤخذ ماله ویسلب ثیابه . فیقول : ترى من أين أتیت ؟ والعجب أنه یعلم من أين أتى ویعرف الطريق الّتی قطعت علیہ وأخذ فیها . ویأبى إلا سلوکها . لأن دلیلها قد تمسک منہ وتحکم فیہ وقوى علیہ ولو أضعفه بالمخالفة لہ ، وزجره إذا دعاه وحاربه إذا أخذہ لم یتسکّن منہ ولكن هو مکنه من نفسه وهو أعطاه یدہ فهو بمنزلة الرجل یضع یدہ فی ید عدوہ فیباشر ثم یسومه سوء العذاب فهو یتستغیث فلا یغاث . فہکذا یتأسر للشیطان والهوى ولنفسه الامارة . ثم یطلب الخلاص فیعجز عنہ .

فلما أن بلی العہد بما بلی بہ أعین بالعسا کر والعدو والحصون وقیل لہ : قاتل عدوک وجاہدہ فہذه الجنود خذ منہا ما شئت وهذه الحصون تحصن بأی حصن

شئت منها ورباط إلى الموت فالأمر قريب ومدة المراقبة بسيرة جداً فكأنك بالملك أعظم وقد أرسل إليك رسله فنقلوك إلى داره واسترحت من هذا الجهاد وفرق بينك وبين عدوك وأطلقت في دار السكرامة تتقلب فيها كيف شئت وسجن عدوك في أصعب الحبوس وأنت تراه فالسجن الذي كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله وغلقت عليه أبوابه وأيس من الروح والفرج وأنت فيما اشتبهت نفسك وقرت عينك جزاء على صبرك في تلك المدة اليسيرة ولزمك النفر للرباط : وما كانت إلا ساعة ثم انقضت وكأن الشدة لم تكن .

فان ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة الله انقضائه فليتدبر قوله عز وجل (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوْنَهُ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) وقوله عز وجل : (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) وقوله عز وجل (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ . قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) وقوله عز وجل : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) وخطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه يوماً فلما كانت الشمس على رؤس الجبال وذلك عند الغروب قال : « إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه » .

فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث وليعلم أى شيء حصل له

من هذا الوقت الذى قد بقى من الدنيا بأسرها ليعلم أنه فى غرور وأضغاث أحلام . وأنه قد باع سعادة الأبد والتعجب المقيم بحظ خسيس لا يساوى شيئا . ولو طلب الله تعالى والدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئاً موفوراً وأكمل منه . كما فى بعض الآثار : « ابن آدم بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعاً ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعاً » .

وقال بعض السلف : ابن آدم « أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج . فان بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة وكنت من نصيب الدنيا على خطر وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدنيا فانظما انتظاماً » .

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول فى خطبته « أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى وإن لكم معاداً يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم وللفضل بينكم نصاب وشقى عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التى وسعت كل شيء . وجنته التى عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمانى غداً لمن خاف الله تعالى واتقى وباع قليلاً بكثير وفانياً بباق وشقاوة بسعادة ألا ترون أنكم فى أصلاب الهالكين وسيخلفكم بعدكم الباكون ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غادياً رائحاً إلى الله قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب ؟ » .

والمقصود أن الله عز وجل قد أمد العبد فى هذه المدة اليسيرة بالجنود والعدد والأمداد وبين له بماذا يحرز نفسه من عدوه وبما يفتك نفسه إذا أسر

وقد روى الإمام أحمد رضى الله عنه والترمذى من حديث الحارث

الاشعري عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها وأنه كاد يبطل بها فقال له عيسى عليه السلام : إن الله تعالى أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها فاما أن تأمرهم ولما أن أمرهم فقال يحيى : أخشى أن سبقني بها أن يخسف بي أو أعذب بجمع الناس في بيت المقدس فامتلا المسجد وقعدوا على الشرف فقال : ان الله تبارك وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعملهن وأمركم أن تعملوا بهن : أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق فقال : هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلى . فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده . فأبكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟ وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلقموا . فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت . وأمركم بالصيام . فان مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك . فكلهم يعجب ، أو يعجبه ريحه ، وان ريح الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك وأمركم (١) بالصدقة . فان مثل ذلك مثل رجل أسر العدو ، فأوثقوا يده إلى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه . فقال : أنا أفدى نفسي منكم بالقليل والكثير . فقضى نفسه منهم . وأمركم أن تذكروا الله تعالى . فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً . حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم . كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى

(١) ضبط آمركم هنا وفي سائر النسخ بمد الهمزة مستندا إلى المتكلم لأن الله تعالى كلفه أن يأمرهم بذلك ، ولكنه أسند الأمر بالصلاة إلى الله تعالى فكان مقتضاه أن يعطف عليه ما بعده .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : وأنا آمركم بخمس الله ، أمرني بهن . السمع والطاعة والجهاد . والهجرة والجماعة . فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه . إلا أن يراجع ومن ادعى دعوى الجاهلية فانه من جثى جهنم فقال رجل : يا رسول الله : وإن صلى وصام ؟ فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله ، قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح (١) .

فقد ذكر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث العظيم الشأن الذى ينبغى لكل مسلم حفظه وتعقله ما ينبغى من الشيطان وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة فى دنياه وأخراه .

فذكر مثل الموحد والمشرک ، فالموحد : كن عمل لسيده فى داره وأدى لسيده ما استعمله فيه : والمشرک . كن استعمله سيده فى داره فكان يعمل ويؤدى خواجه وعمله إلى غير سيده ، فهكذا المشرک يعمل لغير الله تعالى فى دار الله تعالى ، ويتقرب إلى عدو الله تعالى بنعم الله تعالى .

ومعلوم أن العبد من بنى آدم لو كان عنده مملوك كذلك لكان أمقت المالك عنده ، وكان أشد شئ غضبا عليه وطردا له وإبعادا وهو مخلوق مثله

(١) ورواه النسائي ببعضه . وابن خزيمة : وابن حبان فى صحيحهما والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم . قال الحافظ عبد العظيم المندرى : وليس للحديث الأشعرى فى الكتب الستة إلا هذا الحديث « والربة ، بكسر الراء وقتحها وسكون الباء الموحدة ، واحدة الرقب . وهى عرى تشد فى جبل إليه وتستعار لغيره ، و « جثى » بضم الجيم بعدها مثلثة أى من جماعات جهنم .

كلاهما في نعمة غيرهما فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فنه وحده لا شريك له ؟ ، ولا يأتى بالحسنات إلا هو ، ولا يصرف السيئات إلا هو ، وهو وحده المنفرد بخلق عبده ورحمته وتديره ورزقه ، ومعافاته وقضاء حوائجه ، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب والخوف والرجاء والخلف والنذر ، والمعاملة ؟ فيحب غيره كما يحبه أو أكثر ، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر ، وشواهد أحوالهم ، بل وأقوالهم وأفعالهم فاطقة بأنهم يحبون أنداده . من الأحياء والأموات ويخافونهم ويرجونهم ويعاملونهم ويطلبون رضاهم ، ويهربون من سخطهم أعظم مما يحبون الله تعالى ويخافون ويرجون . ويهربون من سخطه (١) وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل . قال الله سبحانه وتعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .

(١) وأكبر ما يدل على ذلك وأوضحه ما نراه منهم ، يقف الواحد منهم أمام قبر معبوده خاشعاً وجلالاً ، ترتعد فرائصه ويلتقص منه شدة الرهبة والخشية . يسأل هذا الميت حاجته بغاية الذلة والضراعة والمسكنة ويناجيه بأوضح ما يعبر عن ما في قلبه لهذا المقبور من الذلة والخشية والخضوع ويهون عليه عزيز ماله يضعه في صندوق النذور طيبة به نفسه . فإذا قام بين يدي ربه في الصلاة وقف في صلف وقلة اكتراث وتقرها كما ينقر الغراب وأجرى ألفاظ القرآن والذكر والدعاء على لسانه سراعاً يؤولها لياً ويلفها لفاً لا يفقه معناها ، ولا يحس قلبه ولا نفسه معها بأى خشية ولا لإجلال الله سبحانه . وهذا وأمثاله أوضح ما يدل على أن هؤلاء يخافون أنذارهم وألهمهم الموتى أشد مما يخافون الله ويعبدونهم سرا وجهراً أعظم مما يعبدون الله : وإن زعم أشباه العلماء أنهم ليسوا مشركين . فلا ينفعهم ذلك مثقال ذرة في الواقع وعند الله .

والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة : ديوان لا يغفر الله منه شيئاً . وهو الشرك به . فان الله لا يغفر أن يشرك به وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً . وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً قال الله تعالى يستوفيه كله وديوان لا يعبأ الله به شيئاً . وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل فان هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً فانه يمحي بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المفكرة ونحو ذلك بخلاف ديوان الشرك فانه لا يمحي إلا بالتوحيد وديوان المظالم فانه لا يمحي إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها .

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله . فلا يدخل الجنة نفس مشركة وإنما يدخلها أهل التوحيد فان التوحيد هو مفتاح بابها فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به .

أسنان هذا المفتاح هي الصلاة . والصيام . والزكاة . والحج . والجهاد . والأمر بالمعروف . والنهي عن المنكر . وصدق الحديث . وأداء الأمانة وصلة الرحم . وبر الوالدين فأى عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحاً صالحاً من التوحيد . وركب فيه أسناناً من الأوامر . جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا يفتح إلا به . فلم يعقه عن الفتح عائق اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار . فانه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده فلا بد من دخول النار ليخرج خبثه فيها ويتطهر من درنه ووسخه ثم يخرج منها فيدخل الجنة فانها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب قال سبحانه وتعالى : (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ) وقال تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ

زُمرًا حتى إذا جاؤوها وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول أى سبب طيبكم قيل لكم ادخلوها

وأما النار فانها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين فالله تعالى يجمع الخبيث بعينه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء لتركب بعضه على بعض . ثم يجعله في جهنم مع أهله . فليس فيها إلا خبيث . ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشوبه خبيث وخبيث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبيث وطيب - كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ودار الخبث المحض وهاتان الداران لا تغنيان ودار لمن معه خبيث وطيب وهى الدار التى تقبى وهى دار العصاة فانه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فادخلوا الجنة . ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض

وقوله في الحديث « وأمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت » الالتفات المنهى عنه في الصلاة قسيمان :

﴿ أحدهما ﴾ إلتفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى

﴿ والثاني ﴾ إلتفات البصر . وكلاهما منهى عنه

ولا يزال الله مقبلاً على عبده مادام العبد مقبلاً على صلاته . فاذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه (١) وقد سئل رسول الله

(١) روى أحمد وأبو داود والنسائي عن أنى الأحوص عن أنى ذر قال قال رسول الله ﷺ لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت فاذا صرف وجهه انصرف عنه .

صلى الله عليه وسلم عن التفات الرجل في صلاته فقال : اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد (١) ، وفي أثر : يقول الله تعالى إلى خير منى إلى خير منى (٢) :

ومثال من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السلطان فأوقعه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينا وشمالا . وقد انصرف قلبه عن السلطان . فلا يفهم ما يخاطبه به . لأن قلبه ليس حاضرا معه . فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتا مبعدا قد سقط من عينيه ؟ فهذا المصلى لا يستوى والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه : فامتلا قلبه من هيئته وذلت عنقه له واستحي من ربه تعالى أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه وبين صلاتيهما كما قال حسان ابن عطية : « ان الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض ، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل والآخر ساه غافل . فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله وبينه وبينه حجاب لم يكن إقبالا ولا تقريرا فما الظن بالخالق عز وجل ؟ وإذا أقبل على الخالق عز وجل وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بها ملأى منها فكيف يكون ذلك إقبالا وقد ألهته الوساس والأفكار ، وذهبت به كل مذهب .

والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه ، فانه قد قام في أعظم مقام

(١) رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها

(٢) ذكره الحافظ المنذرى في الترغيب والترهيب بصيغة التريض عن

جابر عن النبي ﷺ في حديث طويل . ثم قال : رواه البزار .

وأقربه وأغبطه الشيطان ، وأشد عليه ، فهو يحرص ويجهد كل الاجتهاد أن لا يقيم فيه . بل لا يزال به يعدد ويمنيه وينسيه ، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهون عليه شأن الصلاة فيتهاون بها فيتركها فان عجز عن ذلك منه وعصاه العبد وقام في ذلك المقام أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه ويحول بينه وبين قلبه فيذكره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة وأيس منها فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها ويأخذه عن الله عز وجل فيقوم فيها بلا قلب فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطايا وذنوبه وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة فان الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها وأكمل خشوعها ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه وأحس باثقال قد وضعت عنه : فوجد نشاطا ورواحة وروحا حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها لأنها قرة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بصلاتها كما قال إمامهم وقودتهم ونبيهم ﷺ « يا بلال أرحنا بالصلاة (١) ، ولم يقل أرحنا منها وقال ﷺ « جعلت قرة عيني في الصلاة (٢) » فمن جعلت قرة عينه في الصلاة كيف نقر عينه ﷺ بدونها وكيف يطيق الصبر عنها فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة هي التي تصعد ولها نور وبرهان حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل فتقول : حفظك الله تعالى كما حفظتني ، وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها

(١) رواه أبو داود عن سالم بن أبي الجعد

(٢) أخرجه النسائي والحاكم عن أنس بلفظ « حبيب إلى من دنياكم النساء

والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ، وقد أطال القول في تخرجه والكلام على رواياته المعجول في كشف الخفاء .

وحدودها وخشوعها فانها تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها
وتقول : ضيعك الله كما ضيعني ، وقد روى في حديث مرفوع رواه بكر ابن
بشر عن سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية عن أبي شجرة عن عبد الله عن ابن
عمر رضي الله عنهما يرفعه أنه قال : ما من مؤمن يتم الوضوء إلى أماكنه ثم
يقوم إلى الصلاة في وقتها فيؤديها لله عز وجل لم ينقص من وقتها وركوعها
وسجودها ومعالمها شيئا إلا زفعت له إلى الله عز وجل بيضاء مسفرة
يستضيء بنورها ما بين الخافقين حتى ينتهي بها إلى الرحمن عز وجل ومن قام إلى
الصلاة فلم يكمل وضوءها وآخرها عن وقتها واسترق ركوعها وسجودها ومعالمها
رفعت عنه سوداء مظلمة ثم لا تجاوز شعر رأسه تقول ضيعك الله كما ضيعتني :
ضيعك الله كما ضيعني ، (١)

فالصلاة المقبولة والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاة تليق بربه عز وجل فاذا
كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به كانت مقبولة
والمقبول من العمل قسمان :

(أحدهما) أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله
عز وجل ذكر الله عز وجل على الدوام ، فأعمال هذا العبد تعرض على الله
عز وجل ، حتى تقف قبالة ، فينظر الله عز وجل إليها فاذا نظر إليها رآها

(١) هذا الحديث بحث عن سنده فلم أجده وقد رواه الطبراني في الكبير
بنحو ما هنا من اللفظ عن عبادة بن الصامت وقال الهيثمي في مجمع الزوائد .
وفي سنده الأخوص بن حكيم وثقه ابن المديني والعجلي وضعفه جماعة وبقية
رجالهم موثقون وروى الطبراني مثله في الأوسط عن أنس بن مالك وقال في
مجمع الزوائد . فيه عباد بن كثير وقد أجمعوا على ضعفه

خالصة لوجه مرضية قد صدرت عن قلب سليم مخلص بحب لله عز وجل متقرب إليه ، وأحبها ورضيها وقبلها

﴿والقسم الثاني﴾ أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة . وينوى بها الطاعة والتقرب إلى الله فأركانها مشغولة بالطاعة . وقلبه لاه عن ذكر الله وكذلك سائر أعماله فإذا رفعت أعماله هذا إلى الله عز وجل لم تقف تجاهه ولا يقع نظره عليها . ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال حتى تعرض عليه يوم القيامة . فتميز ، فيثيبه على ما كان له منها ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها فهذا قبوله لهذا العمل . إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب ، والخور العين ، وإثابة الأول : رضا العمل لنفسه ورضاه عن معاملة عامله وتقريبه منه وإعلاء درجته ومنزله فهذا يعطيه بغير حساب . فهذا لون . والأول لون والناس في الصلاة على مراتب خمسة

﴿أحدها﴾ مرتبة الظالم لنفسه المفرط وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها . وحدودها وأركانها

﴿الثاني﴾ من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة ، فذهب مع الوسوس والافكار

﴿الثالث﴾ من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والافكار فهو مشغول بمجاهدة عدوه ، أثلا يسرق صلانه فهو في صلاة وجهاد

﴿الرابع﴾ من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها أثلا يضيع شيئاً منها بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي ، وإكمالها وإتمامها قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها

(الخامس) من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك ، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه عز وجل ناظراً بقلبه إليه ، ومراقباً له تمتلئاً من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات وارتفعت حجبها بينه وبين ربه فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض . وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قزير العين به .

فالقسم الأول معاقب والثاني محاسب والثالث مكفر عنه مثاب والخامس مقرب إليه لأن له نصيباً ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا قرّت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة وقرّت عينه أيضاً به في الدنيا ومن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين ومن لم تقرّ عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات .

وقد روى « أن العبد إذا قام يصلي قال الله عز وجل : ارفعوا الحجب فإذا التفت قال ارخوها » وقد فسر هذا الالتفات بالفتات القلب عن الله عز وجل إلى غيره فإذا التفت إلى غيره ارخى الحجاب بينه وبين العبد فدخل الشيطان وعرض عليه أمور الدنيا وأراه إياها صورة المرأة . وإذا أقبل بقلبه على الله ولم يلتفت لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين الله تعالى وبين ذلك القلب وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب فان فر إلى الله تعالى عز وجل وأحضر قلبه فر الشيطان . فان التفت حضر الشيطان . فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة .

(فصل)

وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل إذا قهر شهوته وهواه وإلا فقلب قد قهرته الشهوة وأسره الهوى ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه كيف يخلص من الوسوس والافكار ؟

والقلوب ثلاثة : قلب خال من الإيمان وجميع الخير . فلهذا قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوسواس إليه لأنه قد اتخذ بيتا ووطنا وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن .

القلب الثاني : قلب قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه . لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية . فللشيطان هناك إقبال وادبار ومجالات ومطالع فالحرب دول ومجملات وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلّة والكثرة فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر ومنهم من أوقات غلبه عدوه له أكثر ومنهم من هو تارة وتارة .

القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان وانقشعت عنه حجب الشهوات وأقلمت عنه تلك الظلمات فلتوره في صدره إشراق ولذلك الاشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به فهو كالسماء التي حرسها بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق :

وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء والسماء متعبد الملائكة ومستقر الوحي وفيها أنوار الطاعات وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئا إلا خطفه .

وقد مثل ذلك بمثال حسن وهو ثلاثة بيوت : بيت الملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره وبيت العبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره وليست كجواهر الملك وذخائره .

وبيت خال صفر لا شيء فيه . فجاء اللص يسرق من أحد البيوت فن أياها يسرق ؟

(فإن قلت) : من البيت الخالي كان محالا لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق ولهذا قيل لابن عباس رضى الله عنهما : إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها . فقال : وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب .

(وإن قلت) : يسرق من بيت الملك كان ذلك كالمستحيل الممتنع
فإن عليه من الحرس واليزك ما لا يستطيع اللص الدنو منه كيف وحارسة
الملك بنفسه ؟ وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند
ما حوله ؟ فلم يبق للصوص إلا البيت الثالث فهو الذى يشن عليه الغارات
فليتأمل اللبيب هذا المثل حق التأمل ، ولينزله على القلوب فإنها
على منواله .

فقلب خلا من الخير كله ، وهو قلب الكافر والمنافق فذلك بيت الشيطان
قد أحرزه لنفسه واستوطنه واتخذ سكنا ومستقرا فأى شيء يسرق منه
وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه ؟
وقلب قد امتلأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته
والحياء منه فأى شيطان يجترأ على هذا القلب ؟ وإن أراد سرقة شيء منه
فماذا يسرق ؟ وغايته أن يظفر فى الأحايين منه مخطفة ونهب يحصل له على غرة
من العبد وغفلة لا بد له منها إذا هو بشر ، وأحكام البشرية جارية عليه من
العفة والسهو والذهول وغلبة الطمع

وقد ذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه قال فى بعض الكتب الإلهية
« لست أسكن البيوت ولا تسعنى وأى شيء يسعنى والسموات حشو كرسى ؟
ولكن أنا فى قلب الوداع التارك لكل شيء سواى ، وهذا معنى الأثر الآخر
« ما وسعتنى سمواتى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن
وقلب فيه توحيد الله تعالى ومعرفته ومحبته والإيمان به والتصديق بوعده
ووعيده وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعى الهوى والطبع .

وقلب بين هذين الداعين قرة يميل بقلبه داعى الإيمان والمعرفة والمحبة لله
تعالى وإرادته وحده ومرة يميل لداعى الشيطان والهوى والطباع فهذا القلب
(٢ — الوابل)

للشيطان فيه مطمع وله منه متنازلات ووقائع ويعطى الله النصر من يشاء
(وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم)

وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه فيدخل إليه الشيطان فيجد
سلاحه عنده فيأخذه ويقاؤه به فإن أساحته هي الشهوات والشبهات والخيالات
والأمانى الكاذبة وهي في القلب فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة فيأخذها
ويصول بها على القلب فإن كان عند البعد عدة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك
العدة وتزيدها عليها انتصف من الشيطان وإلا فالدولة لعدوه عليه ولا قوة
إلا بالله فإن أذن العبد لعدوه وفتح له باب بيته وأدخله عليه ومكنه من
السلاح يقاؤه به فهو المعلوم

فنفسك لم ولا تلم المطايا ومات كذا فليس لك اعتذار .

عدنا إلى شرح حديث الحارث الذي فيه ذكر ما يحزر العبد من عدوه
قوله ﷺ وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك مثل رجل في عصابة معه صرة
فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه وأن ريح الصيام أطيب عند الله من ريح
المسك، إنما مثل ﷺ ذلك الصائم بصاحب الصرة التي فيها المسك لأنها مستورة
عن العيون مخبوءة تحت ثيابه كعادة حامل المسك وهكذا الصائم صومه مستور عن
مشاهدة الخلق لا تدركه حواسهم والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام
ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور وبطنه عن الطعام والشراب وفرجه
عن الرفث فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه ،
فيخرج كلامه كله كاملاً نافعاً صالحاً ، وكذلك أعماله فهي بمنزلة الرائحة
التي يشمها من جالس حامل المسك ، كذلك من جالس الصائم انتفع
بمجالسته وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم ، هذا هو
الصوم المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب في الحديث

الصحيح « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » وفي الحديث « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » فالصوم (الكامل) هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الشراب والطعام . فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته فتصيره بمنزلة من لم يصم .

وقد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم : هل هي في الدنيا أو في الآخرة ؟ على قولين :

ووقع بين الشيخين الفاضلين أبي محمد بن عبد السلام وأبي عمر بن الصلاح في ذلك تنازع فقال أبو محمد إلى أن تلك في الآخرة خاصة وصنف فيه مصنفاً ومال الشيخ أبو عمرو إلى أن ذلك في الدنيا والآخرة وصنف فيه مصنفاً رد فيه على أبي محمد وسلك أبو عمرو في ذلك مسلك أبي حاتم ابن حبان فإنه في صحيحه — بوب عليه كذلك فقال (ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك) ثم ساق حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام والصيام لي وأنا أجزي به واخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » (١)

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما بالفاظ مختلفة و « الخلوف » بفتح الخاء المعجمة وضم اللام : تغير رائحة الفم من ترك الطعام والشراب وسئل سفيان بن عيينة عن قوله (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي) فقال : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة . وعن أبي عبيد : أنه لا يقع فيه الرياء كما

ثم قال (ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم يكون أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة) ثم ساق حديث ابن جزي عن عطاء عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ (قال الله تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك للصائم فرحتان إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي الله تعالى فرح بصومه)

قال أبو حاتم: شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقا بينهم وبين سائر الأمم وشعارهم في القيامة بصومهم: طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك ليعرفوا من بين ذلك الجميع بذلك العمل جعلنا الله تعالى منهم ثم قال (ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم قد يكون أيضا أطيب من ريح المسك في الدنيا) ثم ساق من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف يقول الله عز وجل إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به يدع الطعام من أجلي والشراب من أجلي وأنا أجزي به وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه عز وجل واخلوف فم الصائم حين يخلف من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك)

واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تقييد الطيب بيوم القيامة.

يقع في غيره من الأعمال وقيل: معناه أنا أجزي به وأنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته فإن بعض الأعمال قد كشف الله ثوابها: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي عليه جزاء من غير حساب وقيل معناه: أنه أحب الأعمال إلى الله وهو المقدم عنده وقال ابن عبد البر كفي بقوله (الصوم لي) فضلا للصيام على سائر العبادات وقد أطال الحافظ بن حجر في هذا فارجع إليه إن شئت (ج ٤ ص ٧٥ - ٧٧)

قلت ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه (والذي نفسى بيده ما من مكوم يكلم في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدي ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك) (١)

فأخبر ﷺ عن رائحة كرم المكوم في سبيل الله عز وجل بأنها كريخ المسك يوم القيامة وهو نظير لإخباره عن خلوف فم الصائم فإن الحس يدل على أن هذا دم في الدنيا وهذا خلوف له ولكن يجعل الله تعالى رائحة هذا وهذا مسكا يوم القيامة واحتج الشيخ أبو عمرو بما ذكره أبو حاتم في صحيحه من تقييد ذلك بوقت إخلافه وذلك يدل على أنه في الدنيا فلما قيد المبتدأ وهو خلوف فم الصائم بالظرف وهو قوله : (حين يخلف) كان الخبر عنه وهو قوله (أطيب عند الله) خبرا عنه في حال تقييده فإن المبتدأ إذا تقييد بوصف أو حال أو ظرف كان الخبر عنه حال كونه مقيدا . فدل على أن طيبه عند الله تعالى ثابت حال إخلافه

قال : وروى الحسن بن هفيان في مسنده عن جابر أن النبي ﷺ قال : (أعطيت أمتي في شهر رمضان خمس) فذكر الحديث وقال فيه (وأما الثانية فانهم يسون وريح أفواههم أطيب عند الله من المسك) .

ثم ذكر كلام الشراح في معنى طيبه وتأويلهم إياه بالثناء عن الصائم والرضا بفعله على عادة كثيرة منهم بالتأويل من غير ضرورة حتى كأنه قد بورك فيه فهو موكل به (٢) وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله والرضا بفعله وإخراج اللفظ عن حقيقته وكثير من هؤلاء يلبس اللفظ معنى ثم يدعى لإرادة ذلك المعنى بلفظ النص من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى الذي عينه أو احتمال اللغة له ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على الله تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت

(١) الكلم - بفتح الكاف وسكون اللام - الجرح والحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

فان لم يكن ذلك معلوما بوضع اللفظ لذلك المعنى ، أو عرف الشارع ﷺ وعاداته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى أو تفسيره له به وإلا كانت شهادة باطلة وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك فمثل النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه فانها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكرهه وجهه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذات خلقه وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعاله لا تشبه أفعالهم وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه والعمل الصالح فيرفعه وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا .

ثم إن تأويله لا يرفع الأشكال إذا ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله في الرضا فان قال : رضا ليس كرضا المخوفين فليقل استطابة كاستطابة المخلوقين . وعلى هذا جميع ما يحجى من هذا الباب

ثم قال وأما ذكر يوم القيامة في الحديث فلاه يوم الجزاء وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبا لرضاء الله تعالى حيث يؤمر لاجتماعها واجتلاب الرائحة الطيبة كافي المساجد والصلوات وغيرها من العبادات فخص يوم القيامة بالذكر في بعض الروايات كما خص في قول الله تعالى (إن ربهم بهم يومئذ خبير) وأطلق في باقيها نظرا إلى أن أصل أفضليته ثابت في الدارين

قلت من العجب رده على أبي محمد بما لا ينكره أبو محمد ولا غيره فان الذي فسر به الاستطابة المذكورة في الدنيا بثناء الله تعالى على الصائمين ورضاه بفعلهم أمر لا ينكره مسلم فان الله تعالى قد أثنى عليهم في كتابه وفيما بلغه عنه رسوله ﷺ

ورضى بفعله . فان كانت هذه الاستطابة ، فيرى الشيخ أبو محمد ينسكرها (١) والذى ذكره الشيخ أبو محمد أن هذه الرائحة إنما يظهر طيبها على طيب المسك في اليوم الذى يظهر فيه طيب دم الشهيد ، ويكون كرائحة المسك . ولا ريب أن ذلك يوم القيامة فان الصائم يحى . ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك كما يحى . المكوم في سبيل الله عز وجل ورائحة دمه كذلك لاسيما والجهاد أفضل من الصيام فان كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة فكذلك الصائم .

وأما حديث جابر (فانهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك) فهذه جملة حالية لا خبرية فان خبر إمساكه لا يقترب بالواو . لأنه خبر مبتدأ فلا يجوز اقترانه بالواو . وإذا كانت الجملة حالية فلا يلى محمد أن يقول هى حال مقدرة والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها ، ولهذا اوضح بيوم القيامة فى مثل هذا . فقال (يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك يوم القيامة) لم يكن للتركيب فاسدا . كانه قال يمسون وهذا حالهم يوم القيامة . وأما قوله (لخلوف فم الصائم حين يتخلف) فهذا الظرف تحقيق للبتدأ أو تأكيد له ، ويدان إرادة الحقيقة المفهومة منه لا مجازه ولا استعارته وهذا كما تقول جهاد المؤمن حين يجاهد ، وصلاته حين يصلى يحزبه الله تعالى بها يوم القيامة ، ويرفع بها درجته يوم القيامة ، وهذا قريب من قوله ﷺ (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مبشرة تلك الأفعال فقط بحيث إذا كملت مباشرة وانقطع فعله عاد إليه الإيمان ، بل هذا النفي مستمر إلى حين التوبة وإلا فإدام مصر أو إن لم يباشر الفعل فالنفي لاحق به ولا يزول عنه اسم الذم والأحكام المترتبة على المباشرة إلا بالتوبة النصوح والله سبحانه وتعالى أعلم

(١) مقتضى ما قبله أن يقول لا ينسكرها - فى نفسها - وإن أنكر أنها هى المرأة من الحديث . بل يفسره بما ذكره بعد وهو يتفق معه

وفصل النزاع في المسألة أن يقال حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك الطيب يكون يوم القيامة فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر فيظهر للخلق طيب ذلك الخلف على المسك كما يظهر فيه رائحة دم المسكوم في سبيله كرائحه المسك وكما تظهر فيه السراير وتبدو على الوجوه وتصير علانية ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم وحيث أخبر بأن ذلك حين يخاف وحين يمسون فلأنه وقت ظهور أثر العبادة ويكون حينئذ طيبها على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد قرب مسكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى، وبالعكس فإن الناس يكرهونه لمنافرتهم طبايعهم والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبة فيكون عندة أطيّب من ريح المسك عندنا فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد وصار علانية وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر وإنه يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة . وقد يقوى العمل ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على البعد في الدنيا في الخير والشر كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة .

قال ابن عباس [أن الحسنه ضياء في الوجه ونوران في القلب وقرة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيسة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبخسة في قلوب الخلق] وقال عثمان بن عفان ما عمل رجل عملا إلا ألبسه الله تعالى رداءه إن خيرا نغير وإن اشرا فشر

وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيبا فتظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه والفاجر بالعكس والمزكوم الذي أصابه الهوى لا يشم لاهذا ولا هذا بل ذكاه يحمّله على الإنكار .

فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(فصل)

قوله [وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك مثل رجل أمره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال أنا أفدى نفسي منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم].

هذا أيضا من الكلام الذي برهانه وجوده ، ودليله وقوعه ، فإن للصدقة تأثيرا عجيبا في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعا من البلاء وهذا أمر معنوم عند الناس خاصتهم وعامتهم ، وأهل الأرض كلهم مقرن به لأنهم جزوه

وقد روى الترمذى في جامعه من حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الصدقة تطفى غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء) وكما أنها تطفى غضب الرب تبارك وتعالى فهي تطفى الذنوب والخطايا كما يطفى الماء النار

وفى الترمذى عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقال ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين ، ثم تلا (تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)

وفى بعض الآثار (باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة)

وفى تمثيل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بمن قدم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله كناية فإن الصدقة تفدى العبد من عذاب الله تعالى فإن ذنوبه وخطاياها تقتضى هلاكا فتجىء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه)

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد ، يا معشر النساء تصدقن ، ولو من حليكن فاني رأيتكن أكثر أهل النار) وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار .

وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة] .

وفي حديث أبي ذر [أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينجي العبد من النار؟ قال الإيمان بالله قلت يانبي الله مع الإيمان عمل؟ قال أن ترضخ بما خولك الله أو ترضخ بما رزقك الله قلت يانبي الله فان كان فقير لا يجد ما يرضخ؟ قال يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قلت اني كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فليعن الآخرق يارسول الله أرأيت ان كان لا يحسن أن يصنع؟ قال فليعن مظلوما قلت يارسول الله أرأيت ان كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما؟ قال ماتريد أن تترك في صاحبك من خير؟ ليسك أذاه عن الناس قلت يارسول الله أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال مامن مؤمن يصيب به خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى أدخلته الجنة] ذكره البهقي في كتاب شعب الإيمان .

وقال عمر بن الخطاب ذكر لي أن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة أنا أفضلكم

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد أو جنتان من حديد (١) قد

(١) الجنة بضم الجيم وفتح النون مشددة — ما أجن المزه وسره . والمراد به ههنا الدرع شبهه صلى الله عليه وسلم نعم الله على العبد بالجنة أو الجنة فالتفق كلما نفق

اضطرت أيديهما إلى تديبهما وترقيتهما . فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتغفو أثره وجعل البخيل كلما تصدق بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها . قال أبو هريرة فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأصبعه هكذا في جبهته فرأيت يوسعها ولا تنسح)

ولما كان البخيل محبوسا عن الإحسان ممنوعا عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح ضيق العطن صغير النفس قليل الفرح كثير الهم والغم والحزن لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعاد على مطلوب فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبة لممت كل حلقة من حلقاتها موضعها وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منه بخله بقي قلبه في سجنه كما هو والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسخ بها صدره فهو بمنزلة اتساع الجبة عليه فكلما تصدق اتسع وانفسخ وانشرح وقوى فرحه وعظم سروره ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لسكان العبد حقيقا بالاستكثار منها والمبادرة إليها

وقد قال تعالى (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . وكان عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبي وقاص يطوف بالبيت وليس له دأب إلا هذه الدعوة (رب قني شح نفسي ، رب قني شح نفسي) فقيل له أما تدعو بغير هذه الدعوة ؟ فقال (إذا وقيت شح نفسي فقد أفلحت)

أخلف الله عليه فأتسعت عليه النعم سبغت ووفرت حتى تستره سترها كاملا في الدنيا والآخرة والبخيل كلما أراد أن ينفق منه الشح والحرص وخوف النقص لعدم ثقته بالله واطمئنانه لما عنده فيضيق الله عليه في الدنيا والآخرة

والفرق بين الشح والبخل أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله وجشع النفس عليه والبخل منع إيقافه بعد حصوله وحبه وإمساكه فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله فالبخل ثمرة الشح والشح يدعو إلى البخل والشح كامن في النفس فمن بخل فقد أطاع شحه ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقى شره وذلك هو المفاح (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

والسخي قريب من الله تعالى ومن خلقه من أهله وقريب من الجنة وبعيد من النار والبخل بعيد من الله تعالى بعيد من خلقه بعيد من الجنة قريب من النار فجود الرجل يحببه إلى أصدقائه وبخله يبغضه إلى أولاده

ويظهر عيب المرء في الناس ببخله	ويستره عنهم جميعا سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فأنني	أرى كل عيب فالسخاء غطاؤه
وقارن - إذا قارنت - حرا فأنما	يزين ويزرى بالفتى قرناؤه
وأقلل إذا ما استطعت قولاً فإنه	إذا قل قول المرء قل خطاؤه
إذا قل مال المرء قل صديقه	وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدرى، وإن كان حازما	أقدامه خير له أم وراه ؟
إذا المرء لم يختصر صديقا لنفسه	فناد به في الناس : هذا جزاؤه

وحد السخاء بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة

وليس كما قال بعض من نقص عليه حد الجود بذل الموجود ولو كان كما قال هذا القائل لا يرتفع اسم السرف والتبذير وقد ورد الكتاب بدمهما وجاءت السنة بالنهي عنهما

وإذا كان السخاء محمودا فمن إوقف على حده سمي كريما وكان للحمد مستوجبا ومن قصر عنه كان بخيلا وكان للذم مستوجبا وقد روى في

أثره [إن الله عز وجل أقسم بعزته ألا يجاوره بجعل]

والسخاء نوعان فأشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك والثاني سخاؤك ببذل ما في يدك فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئا لأنه سخا عما في أيديهم وهذا معنى قول بعضهم [السخاء أن تسكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا]

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول أوحى الله إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم [أتدرى لم اتخذتك خليلا قال لا قال لأنى رأيت العطا أحب إليك من الآخذ] وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله فإنه يعطى ولا يأخذ ويعطى ولا يطعم وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته فإنه كريم يحب الكريمين من عباده وعالم يحب العلماء وقادر يحب الشجعان وجميل يحب الجمال

روى الترمذى فى جامعه قال حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر أخبرنا خالد بن الياس عن صالح بن أبى حسان قال سمعت سعيد بن المسيب يقول [إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أخبثكم ولا تشبهوا باليهود]

قال فذكرت ذلك للمهاجرين مسبار فقال حدثني عامر بن سعد عن أبيه رضى الله عنه عن النبي ﷺ مثله إلا أنه قال [فنظفوا أفثيتكم] هذا حديث غريب خالد بن الياس يضعف

وفى الترمذى أيضا فى كتاب البر قال حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا سعيد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال [السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من

النار ولجاهل سخى أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل [

وفي الصحيح [أن الله تعالى وتر يحب الوتر] وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب
الرحماء وإنما يرحم من عباده الرحماء وهو ستير يحب من يستر على عباده وغفو يحب
من يغفو عنهم وغفور يحب من يغفر لهم ولطيف يحب اللطيف من عباده ويغض الغض
الغلظ القاسى الجمع ظرى الجواظ (١) ورقيق يحب الرفق وحليم يحب الحليم وبر يحب
البر وأهله وعدل يحب العدل وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده ويجازى عبده
بحسب الصفات فيه وجوداً وعدماً فمن عفا عفا عنه ومن غفر غفر له ومن سأل سأل
ومن حاق حاققه ومن رفق بعباده رفق به ومن رحم خلقه رحمه ومن أحسن إليهم أحسن
إليه ومن جاد عليهم جاد عليهم ومن نفههم نفههم ومن ستره ستره ومن صفع عنهم صفع
عنه ومن تتبع عورتهم تتبع عورته ومن هتكهم هتكهم فضحه ومن منعهم خير
منعه خيره ومن شاق شاق الله تعالى به ومن مكر مكر به ومن خادعه خادعه
ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة

فأله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلق له ولهذا جاء في الحديث [من
ستر مسلماً ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ومن نفس عن مؤمن كربة من
كرب الدنيا نفس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على
معسر يسر الله تعالى حسابه ومن أقال نادماً أقاله الله تعالى عثرته ومن
أنظر هعسراً أو وضع عنه أظله الله تعالى في ظل عرشه] (٢) لأنه لما جعله في

(١) الجمع ظرى - بفتح الجيم وسكون العين وفتح الظاء وكسر الراء والجواظ
بفتح الجيم وتشديد الواو المفتوحة هو اللفظ الغليظ المتكبر المتفتخ بما ليس عنده

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى عن أبي هريرة إلى قوله [ستر
الله عليه في الدنيا والآخرة] وزادوا [والله في عون العبد ما كان

ظل الأنظار والصبر ونجاة من حر المطالبة وحرارة تكلف الأداء مع عسرتة
وعجزه نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش
وكذلك الحديث الذى فى الترمذى وغيره عن النبى ﷺ أنه قال فى خطبته
يوما [يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين
ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله
عورته يفضحه ولو فى جوف بيته] (١) فكما تدين تدان وكن كيف شئت فان الله
تعالى لك كما تكون أنت له ولعباده

ولما أظهر المنافقون الإسلام وأسروا الكفر أظهر الله تعالى لهم يوم القيامة
نورا على الصراط وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط وأسر لهم أن يطفىء نورهم
وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم
وكذلك من يظهر للخلق خلاف ما يعمله الله فيه فان الله تعالى يظهر له فى الدنيا
والآخرة أسباب الفلاح والنجاح والفوز ويبطن له خلافها

وفى الحديث « من رأى رأى الله به ، ومن سمع سمع الله به » (٢)
والمقصود أن الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطى البخيل المسك
ويوسع عليه فى ذاته وخلقه ورزقه ونفسه وأسباب معيشته جزاء له من
جنس عمله

وقوله ﷺ (وأمركم أن تذكروا الله تعالى) فان مثل ذلك مثل رجل

العبد فى عون أخيه) وقوله (ومن أنظر معسرا) الخ حديث مستعمل رواه
الترمذى عن أبى هريرة وقال حسن صحيح

(١) رواه الترمذى عن عبد الله بن عمر وفيه يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض
الإيمان إلى قلبه) وفيه (ولو فى جوف رحله)

(٢) رواه البخارى ومسلم عن جندب بن عبد الله بلفظ (ومن يراء يراء
الله به) .

خرج العدو في أثره سراعا حتى إذا أتى إلى حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقا بالعبد أن لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجا بذكره فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وأفترسه وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وأتقمع حتى يكون كالوصع (١) وكذلك باب ولهذا سمي [الوسواس الخناس] أي يوسوس في صدور الناس فإذا ذكر الله تعالى خنس أي كف وانقبض قال ابن عباس (الشيطان جائم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله تعالى خنس)

وفي مسند الإمام أحمد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة أنه بلغه عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما عمل آدمي عملا قط أنجي له من عذاب من ذكر الله عز وجل] (٢)

وقال معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إيقاق الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل] (٢)

-
- (١) يروى بفتح الصاد وسكونها كما قال العلامة ابن الأثير في النهاية وهو طائر أصغر من العصفور والجمع وصعان
- (٢) قال المنذرى باسناد جيد إلا أن فيه انقطاعا ورواه الإمام أحمد باسناد حسن وابن أبي الدنيا والترمذى وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي عن أبي الدرداء

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال [كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قيل وما المفردون يا رسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات (١) وفي السنن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار . وكان عليهم حسرة] .

وفي رواية الترمذى [ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة (٢) فان شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم] .
وفي صحيح مسلم عن الأغر أبى مسلم قال أشهد على أبي هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال [لا يقعد قوم يذكرون الله فيه إلا حقتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكروهم الله فيمن عنده] .

وفي الترمذى عن عبد الله بن بشر أن رجلا قال يا رسول الله [إن أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بكلها . فأخبرني بما شئت أنثبت به ولا تسكت علي فأنتى - وفي رواية - إن شرائع الإسلام قد كثرت علي وأنا قد كبرت فأخبرني بشئ . أنثبت به - قال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى] (٣)

(١) المفردون بضم الميم وفتح الفاء وتشديد الراء مكسورة يقال فرد برأيه وأفرد وفرد واستفرد بمعنى انفرد

(٢) الترة بكسر الراء المشناة وفتح الراء المهملة بعدها هاء بدل الواو التي كانت في أولها لأن أصلها وترت هي النقص أو التبعية

(٣) هذه هي الراوية التي أخرجها الترمذى في باب ما جاء في فضل الذكر من جماعة ولكن ليس فيها (وأنا قد كبرت) ولعلها في النسخ المخطوطة (٤ - وابل)

وفي الترمذى أيضا عن أنس عن رسول الله ﷺ سئل [أى العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا . قيل يا رسول الله ومن الغاوى فى سبيل الله ؟ قال . لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى يتكسر ويختضب دما لكان الذاكر لله تعالى أفضل منه درجة] (١)

وفي صحيح البخارى عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : [مثل الذى يذكر والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت]

وفي الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى : [أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني . فإن ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرني فى ملا ذكرته فى ملا خير منهم ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا . وإذا أتاني يمشى أتيته هرولة]

وفي الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال [إذا مررتم برباض الجنة فارتعوا ، قالوا يا رسول الله ، وما رباض الجنة ؟ قال . حلق الذكر]
وفي الترمذى أيضا عن النبى ﷺ عن الله عز وجل أنه يقول : [إن عبدي كل عبدي الذى يذكرني وهو ملاق قرنه]

وهذا الحديث هو فصل الخطاب فى التفصيل بين الذاكر والمجاهد ، فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد ومن المجاهد الغافل ، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى فأفضل الذاكرين المجاهدون ، وأفضل المجاهدين الذاكرون . قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فأمرهم بالذكر

(١) رواه الترمذى وقال : حديث غريب ورواه البيهقى مختصرا

الكثير والجهد معا ليكونوا على رجاء من الفلاح وقد قال تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) . وقال تعالى
(وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَرَّاتٍ) أى كثيرا . وقال تعالى (فَإِذَا
قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) ففيه الأمر
بالذكر بالكثرة والشدة ، لشدة حاجة العبد اليه وعدم استغنائه عنه طريقة عين
فأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لاله وكان خسرا نه
فيها أعظم مما ربح لم غفلته عن الله عز وجل .

وقال بعض العارفين [لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ثم أعرض
عنه لحظة لكان ما فاتته أعظم مما حصله]

وذكر البيهقي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [ما من ساعة
تمر بآدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة] .

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضا [ليس تحسر أهل الجنة على ساعة مرت
بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها] .

وعن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله ﷺ [كلام
ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكر الله
عز وجل]

وعن معاذ بن جبل قال [سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال
أحب إلى الله عز وجل ؟ قال أن تموت ولسانك رطب عن ذكر الله
عز وجل]

وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه [لكل شيء جلاء . وإن جلاء القلوب
ذكر الله عز وجل] .

وذكر البيهقي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن
النبي ﷺ . أنه كان يقول [لكل شيء صقالة . وإن صقالة القلوب ذكر
الله عز وجل وما من شيء أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله عز وجل
قالوا : ولا الجهاد فى سبيل عز وجل ؟ قال ولو أن يضرب بسيفه حتى
ينقطع]

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما وجلاؤه بالذكر
فانه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء فاذا ترك صدأ . فاذا ذكر جلاء

و صد القلب بأمرين بالغفلة والذنب وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر
فن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ مترا كما على قلبه وصدؤه بحسب غفلته
وإذا صدأ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل
فى صورة الحق والحق فى صورة الباطل لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم
فلم تظهر فيه صور الحقائق كما هي عليه فاذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه
الران (١) فسد تصوره وإدراكه فلا يقبل حقا ولا ينسكب باطلا وهذا

(١) قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) روى ابن
جرير والنسائي وابن ماجه من طرق عن أنى هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال [ان العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكته سوداء فى قلبه فان
تاب منها صقل قلبه وان زاد زادت فذلك قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون)] وقال الحسن البصرى هو الذنب على الذنب حتى يعمر
القلب فيموت .

أعظم عقوبات القلب

وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فانهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره
قال تعالى : (وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)

فإذا أراد العبد أن يقتدى برجل فليستظر هل هو من أهل الذكر أو من
الغافلين وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي فان كان الحاكم عليه هو الهوى
وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع أى
أمره الذى يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه بالخلاف للحق وكلها
أقوال متقاربة

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات
فيلبغى للرجل أن ينظر فى شيخه وقدمته ومتبوعه فان وجدته كذلك فليبتعد
منه وإن وجدته ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل واتباع السنة وأمره
غير مفروط عليه بل هو حازم فى أمره فليستمسك بفرزه ولا فرق بين الحى
والميت إلا بالذكر فمثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى
والميت وفى المسند مرفوعاً [أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون]

وفى الذكر أكثر من مائة فائدة .

(إحداهما) أن يطرد الشيطان ويقمه ويكسره

(الثانية) أنه يرضى الرحمن عز وجل

(الثالثة) أنه يزيل الهم والغم عن القلب

(الرابعة) أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط

(الخامسة) أنه يقوى القلب والبدن

(السادسة) أنه ينور الوجه والقلب

(السابعة) أنه يجلب الرزق .

(الثامنة) أنه يكسو الذاك المهابة والحلاوة والنعمة .

(التاسعة) أنه يورث المحبة التي هي روح الإسلام ، وقطب رحي الدين ومدار السعادة والنجاة وقد جعل الله لكل شيء سبباً ، وجعل سبب المحبة دوام الذكر . فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فان الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم

(العاشرة) أنه يورث المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه ، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان ، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت

(الحادية عشرة) أنه يورث الإجابة وهي الرجوع إلى الله عز وجل فمَنْ أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا .

(الثانية عشرة) أنه يورث القرب منه فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قرب به منه وعلى قدر غفلته يكون بعده منه

(الثالثة عشرة) أنه يفتح له باباً عظيم من أبواب المعرفة وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة

(الرابعة عشرة) أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى بخلاف الغافل فان حجاب الهيبة رقيق في قلبه

(الخامسة عشرة) أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى : (فاذكروني أذكركم) ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً

وشرفا وقال ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى من ذكرنى فى نفسه
ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منهم *
(السادسة عشرة) أنه يورثه حياة القلب وسمعت شيخ الإسلام ابن
تيمية قدس الله تعالى روحه يقول الذكر للقلب مثل الماء للسماك فكيف
يكون حال السمك إذا فارق الماء

(السابعة عشرة) : أنه قوت القلب والروح فاذا فقد العبد صار بمنزلة
الجسم إذا حيل بينه وبين قوته وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى
الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إلى
وقال هذه غدوتى ولم أتعد ولو لم أتعد الغداء سقت قوتى أو كلاما قريبا من هذا
وقال لى مرة لا أترك الذكر إلا بذية إجمام نفسى وإراحتها لا استعد بملك الراحة
لذكر آخر أو كلاما هذا معناه

(الثامنة عشر) أن يورث جلاء القلب من صدئه كما تقدم فى الحديث وكل
شئ له صدأ وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلأؤه الذكر والتوبة والاستغفار
وقد تقدم هذا المعنى

(التاسعة عشر) أنه يحط الخطايا ويذهبها فانه من أعظم الحسنات
والحسنات يذهب السيئات

(العشرون) أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى فان
الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر

(الحادية والعشرون) أن يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله
وتسبيحه وتحميده ويذكر بصاحبه عند الشدة : فقد روى الإمام أحمد فى
المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [إن ما تذكرون من جلال الله
عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لمن دوى كدوى

النحل يذكرن بصاحبهن ، أفلا يجب أحدكم أن يكون له ما يذكر به ؟ ، هذا الحديث أو معناه

(الثانية والعشرون) أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة وقد جاء أثر معناه « أن العبد المطيع للذاكر لله تعالى إذا أصابته شدة أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة : يا رب صوت معروف من عبد معروف والغافل المعرض عن الله عز وجل إذا دعاه وسأله قالت الملائكة : يا رب صوت منك من عبد منك »

(الثالثة والعشرون) أنه منجى من عذاب الله تعالى كما قال معاذ رضى الله عنه ويروى مرفوعا [ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى] (١)

(الرابعة والعشرون) أنه سبب تنزل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم
(الخامسة والعشرون) أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل . فان العبد لا بد له من أن يتكلم . فان لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها . ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى ، والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك فن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو ومن يبس لسانه عن ذكر الله تروط بكل باطل ولغو وفحش ولا حول ولا قوة إلا بالله

(السادسة والعشرون) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به فهو مع أهله في الدنيا والآخرة

(١) رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن جابر بن عبد الله ورجال إسنادهما رجال الصحيح ورواه مالك والترمذي عن معاذ

(السابعة والعشرون) أنه يسعد الذّاكر بذكره ويسعد به جليسه وهذا هو المبارك أينما كان . والغافل واللاغى يشقى بلغوه وغفلته ويشقى به مجالسه .
(الثامن والعشرون) أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة . فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة .
(التاسعة والعشرون) أنه مع البكاء في الخلوة سبب لا ظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه . والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف وهذا الذّاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل
(الثلاثون) أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطى السائلين
ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال سبحانه وتعالى من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين]
(الحادية والثلاثون) أنه أيسر العبادات، وهو من أجملها وأفضلها فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها ولو تحرك عضو من أعضاء الانسان في اليوم والليله بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك .

(الثانية والثلاثون) أنه غراس الجنة . فقد روى الترمذى في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لقيت ليلة أسرى نبي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبعحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر] قال الترمذى حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود .

وفي الترمذى من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة] قال الترمذى حديث حسن صحيح .

(الثالثة والثلاثون) أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس

وفي الترمذي من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال [من قال حين يصبح أو يمسي اللهم إني أصبح أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعة] من النار ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربعا أعتقه الله تعالى من النار ، وفيه عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال * من قال حين يمسي وإذا أصبح رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا كان حقا على الله أن يرضيه

وفي الترمذي من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة

(الرابعة والثلاثون) : أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذى هو سبب شقاء العبد فى معاشه ومعاده فان نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها قال تعالى : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) .

وإذا نسى العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشغل عنها ، فهلكت وفسدت ولا بد كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده : والقيام عليه فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحه فانه يفسد ولا بد هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها ، واشتغل عن مصالحها وعطل مراعاتها وترك القيام عليها بما يصلحها ؟ فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان .

وهذا هو الذى صار أمره كله : فانقرط عليه أمره وضاعت مصالحه وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى واللبس به وأن ولا يزال واللسان رطبا به وأن يتولى منزلة حياته التى لا غنى له عنها ومنزلة غذائه الذى إذا فقدته فسد جسمه وهلك وبمنزلة الماء عند شدة العطش وبمنزلة اللباس فى الحر والبرد بمنزلة الكن فى شدة الشتاء والسوم .

تحقيق بالعبد أن يزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده هذا هلاك لا بد منه وقد يعقبه صلاح لا بد وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى منه صلاح ولا فلاح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ولو لم يكن فى فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكان

بها ، فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب يوم القيامة قال تعالى (ومن أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) قال رب لم حَشَرْتَنِي أَعْمَى وقد كنتُ بصيراً قال كذلك أَتَمَّكَ آيَاتِنَا فَانْسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) أى تنسى في العذاب (١) كما نسيت آياتي فلم تذكرها ولم تعمل بها وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذى أنزله ، وهو أن يذكر الذى أنزله في كتابه وهو المراد يتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه وأسمائه وصفاته وأوامره وآلاته ونعمه فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى .

فان الذكر في الآية إما مصدر مضاف إلى الفاعل ، أو مضاف إضافة الأسماء المحضة من أعرض عن كتابي ، ولم يتله ولم يتدبره ولم يعمل به ولا فهمه . فان حياته ومعيشته لا تكون إلا مضیعة عليه منكدة معذبا فيها ، والضنك الضيق ، والشدة ، والبلاء ، ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة . وفسرت هذه العيشة بعذاب البرزخ . والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا وحاله في البرزخ فانه يكون في ضنك في الدارين ، وهو شدة وجهد وضيق ، وفي الآخرة ينسى في العذاب : وهذا عكس أهل السعادة والفلاح فان حياتهم في الدنيا أطيب الحياة في البرزخ ولهم في الآخرة أفضل الثواب .

قال تعالى : (مَنْ يَعْمَلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) فهذا في الدنيا ثم قال : (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فهذا في البرزخ والآخرة : وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا

(١) أى يترك كالمنسى وتسميته نسيانا من نوع المشاكلة كقوله تعالى : (نسوا الله فانسهم) واللسان الحقيقي محال على الرب تعالى كما قال حكاية عن رسوله موسى عليه السلام (لا يضل ربي ولا ينسى) .

في الله من بعد ما ظلموا لنبؤتهم في الدنيا حسنة ولا جزاء الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . وقال تعالى : (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) فهذا في الآخرة وقال تعالى : (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فهذا أربعة مواضع (١) ذكر الله تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين ، جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة . فلاحسان له جزاء معجل ولا بد والإساءة لها جزاء معجل ولا بد ولو لم يكن إلا ما يجازي به المحسن من الشراح صدره وانفساح قلبه وسرووره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته (٢) وذكره وفرحه بربه

(١) الآية الأولى هي من سورة النحل ٩٧ وقد ذكر المصنف فيها كلا من الجزأين في موضعه . والثانية هي ٤١ من سورة النحل أيضاً وقد كان صدرها في النسخة الهندية صدر الآية الرابعة التي هي ١١ من سورة الزمر فصححناها والظاهر أن المصنف نبه فيها على كل من الجزأين في موضعه - والثالثة هي الثالثة من سورة هود وقد حذف من النسخة الهندية جملة جزاء الشرط التي هي جزاء الدنيا وذكر ما عطف عليها وهو جزاء الآخرة مفصلاً بينهما بجملة « قال تعالى » فالظاهر أنه قال بعد جملة الجزاء (فهذا في الدنيا) لأنه قال بعد المعطوف عليها (فهذا في الآخرة) والرابعة هي ١١ من سورة الزمر وقد تكلم بعدها على الآيات الأربع جملة واحدة

(٢) قد سقط من هنا جواب (لو) وأقله كلمة (لكني) والأرجح أن المحذوف أكثر من ذلك لما يدل عليه العطف بعده

سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب منى السلطان الكريم عليه بسلطانه وما يجازى به المسىء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازه وغمه وهمه وحزنه وخوفه (١) وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهم حاضرة والإقبال على الله تعالى والإجابة إليه والرضا به وعنه وامتلاء القلب من محبته والبهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لانسبة لعيش الملوك إليه البتة .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة . وقال لى مرة : ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى ضردى ، إن رحت فمى معى لا تفارقنى إن حبسنى خلوة ، وقتلى شهادة ، وإخراجى من بلدى سبيحة وكان يقول : فى مجلسه فى القلعة لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندى شكر هذه النعمة أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير ، وضو هذا وكان يقول فى سجوده وهو محبوب من الله على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله وقال لى مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه ، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : (فضرِبَ بينهم بسور له باب . باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

وعلم الله ما رأيت أحداً طيب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من ضيق

(١) سقط من هنا خبر قوله « وما يجازى به المسىء » ، ويعلم من القرينة فى الجملة .

العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا ، وأمرحهم صدرا ، وأقوام قلبا ، وأسرهم نفسا تلوح نضرة النعيم على وجهه وكنا إذا اشتد بنا الخوف وسامت منا الظنون وضافت بنا الأرض أتيانه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمانينة . فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها .

وكان بعض العارفين يقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : مساكين أهل الدنيا الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها قيل : وما أطيب ما فيها قال : محبة الله تعالى ومعرفة وذكركه أو نحو هذا .

وقال آخر : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا .

وقال آخر : إنه لتمر بي أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لبي عيش طيب .

فمحبة الله تعالى ومعرفة ودوام ذكره والسكون إليه والطمانينة إليه وإفراد بالحب ، والخوف ، والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته وإراداته هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم ، وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل ، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حشرات وإنما يصدق هذا من في قلبه حياة ، وأما ميت القلوب فيوحشك ماله ثم ، فاستأنس بغميته ما أمكنك فانه لا يوحشك إلا حضوره عندك ، فإذا ابتليت به فاعطه ظاهرك ، وترحل عنه بقلبك ، وفارقه بسرك ، ولا تشتغل به عما هو أولى بك .

واعلم أن الحسرة كل الحسرة في الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال إلا قوت نصيبك وحظك من الله عز وجل ، وانقطاعك عنه . وضياح وقتك عليك ، وشتات قلبك ، وضعف عزيمتك وتفرق همك . فإذا بليت بهذا ولا بد لك منه فعامل الله تعالى فيه ، واجعل اجتماعك به متجرا لك لا تجعله خسارة وكن معه كرجل سائر في طريقه عرض له رجل وقفه عن سيره فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به فتحمله ولا يحملك ، فإن أبى ولم يكن في سيره مطمع فلا تعق بالوقوف معه الركب ودعه ولا تلتفت إليه فإنه قاطع الطريق ولو كان من كان فأنج بقلبك وذن بيومك وليلتك لا تغرب عليك الشمس قبل وصل المانزة فتؤخذ أو يطلع الفجر (١) أنى لك بلحاقهم

(الخامسة والثلاثون) : أن الذكر يسير العبد وهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته وسقمه وفي حال نعيمه ولذته وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله حتى أنه يسير العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة فيصبح لهذا وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقه الركب . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وحكى عن رجل من العباد : أنه نزل برجل ضيفا . فقام العابد ليلى يصلى وذلك الرجل مستلق على فراشه . فلما أصبحا قال له العابد سبقك الركب أو كما قال . فقال . ليس الشأن فيمن بات مسافرا وأصبح مع الركب الشأن في من بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب .

وهذا ونحوه له محل صحيح ومحل فاسد . فمن حكم على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت فهو باطل وإنما محمله : أن هذا المستلق على فراشه علق قلبه بربه عز وجل وألصق حبه قلبه بالعرش وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة قد غاب عن الدنيا وما فيها . وقد عاقه عن قيام الليل

عائق من وجع أو برد يمنعه عن القيام أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه أو غير ذلك من الأعذار فهو مستلق على فراشه وفي قلبه ما الله تعالى به عليم - وأخر قائم يصلي ويتلو وفي قلبه من الرياء والعجب وطلب الجاه والمحمدة عند الناس ما الله به عليم أو قلبه في واد وجسمه في واد فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة فالعمل على القلوب لا على الأبدان والمعلول على الساكن لا على الاطلال والاعتبار بالمحرك الأول .

فإن ذكر يشير العزم الساكن ويهيج الحب المتوارى ويبعث الطلب الميت
(السادسة والثلاثون) أن الذكر نور الذكور في الدنيا ونور له في قبره ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط فما استنارة القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى . قال تعالى (أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) (فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبه ومعرفته وذكره والآخر هو الغافل عن الله تعالى المعرض عن ذكره ومحبه وللشأن كل الشأن والفلاح كل الفلاح في النور والشقاء كل الشقاء في فواته ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعل في لحمه وعظامه وعصبه وشعره وبشره وسمعه وبصره ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه حتى يقول « واجعلني نورا » (١) فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذواته الظاهرة والباطنة وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته وأن يجعل ذاته وجملته نورا فدين الله عز وجل نور وكتابه نور ورسوله نور وداره التي أعدها لأولياؤه نور يتلألا وهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض ومن أسمائه التور وأشرفت الظلمات لنور وجهه وفي دعاء النبي

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

صلى الله عليه وسلم يوم الطائف « أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات
وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك أو ينزل بي سخطك . لك
العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه [ليس عند ربكم ليلا ولا نهار ، نور
السموات من نور وجهه] : وفى بعض ألفاظ هذا الأثر [نور السموات من
نور وجهه] ذكره عثمان الدارمي .

وقد قال تعالى (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) فإذا جاء تبارك وتعالى
يوم القيامة للفصل بين عباده أشرقت بنوره الأرض وليس إشراقها يومئذ
لشمس ولا قمر . فإن الشمس تكور والقمر يخسف ويذهب نورهما وحجابه
تبارك وتعالى النور

قال أبو موسى « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال
إن الله لا ينام وينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل
قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات
وجهه ما انتهت إليه بصره من خلفه (١) ، ثم قرأ (أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ
حولها) فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه ولولاه لأحرقت سبحات وجهه
ونوره ما انتهى إليه بصره

ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل وكشف من الحجاب شيئا يسيرا
هاخ الجبل فى الأرض وتدكدك ولم يبق لربه تبارك وتعالى وهذا
معنى قول ابن عباس فى قوله سبحانه وتعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) قال
« ذلك الله عز وجل إذا تجلى بنوره لم يبق له شيء وهذا من بدیع فهمه

(١) رواه مسلم وابن ماجه . والسبحات : بضم السين والباء الموحدة

رضى الله تعالى عنه ودقيق فطنته كيف وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه الله التأويل (١).

فألم تبارك وتعالى يرى يوم القيامة بالابصار عيانا ولكن يستحيل إدراك الأبصار له وإن رآته فالإدراك أمر وراء الرؤية وهذه الشمس - والله المثل الأعلى - نراها ولا ندركها كما هي عليه ولا قريبا من ذلك ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه (لا تدركه الابصار) فقال [ألسنت ترى السماء؟ قال : بلى . قال أفستدركها؟ قال : لا قال فآله تعالى أعظم وأجل] (٢).

(١) روى البخارى ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له [اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل] .

(٢) قال الأستاذ إمام وقته السيد محمد رضا أطر الله عليه شأيب رحته ورضوانه . كان أهل النظر المشتغلون بالفلسفة اليونانية يتأولون جميع الآيات والأحاديث الواردة فى صفات الرب تعالى وينكرون على علماء الأثر الأخذ بظواهرها مع التنزيه والتفويض حتى أن الأشعرية الذين أرادوا أن يكونوا وسطا بين غلاة النظر من الجهمية وغيرهم وبين أهل الحديث كالحنابلة قد بالغ بعضهم فى التأويل حتى صار الخلاف بينهم وبين غلاة النظر إفظيا والباعث لهم على ذلك محاولة تطبيق النصوص على نظريات الفسك التى عدوا الكثير منها قطعيا وليس بقطعى ونحمد الله تعالى أن العلوم الكونية قد نقضت فى هذا العصر أكثر تلك النظريات الفلسفية اليونانية وقربت نصوص الكتاب والسنة من الإفهام وبما ثبت بها أخيرا أن هذه الكهربية التى رأى البشر كثيرا من عجائبها هى الأصل فى تكوين مادة العالم كله وأطوارها وهى نور أو مصدر النور والحركة التى يحدتها النور وإذا كان الخالق البارئ المانز عن نقص المخلوقات والتى لا يكمل شىء منها إلا به قد حجب عنها بالنور فك

وقد ضرب سبحانه وتعالى النور في قلب عبده مثلاً لا يعقله إلا العالمون فقال سبحانه وتعالى : (الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَسْكَدُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ . وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

قال أبي بن كعب : (مثل نوره في قلب المسلم) وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه معرفته ومحبهه والايمان به وذكره وهو نوره الذي أنزله اليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس وأصله في قلوبهم ثم تقوى مادته فتزايد حتى يظهر على جوفهم وجوارحهم وأبدانهم وثيابهم ودورهم يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق له منكر فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا فمنهم من نوره كالشمس وآخر كالقمر ، وآخر كالنجوم وآخر كالسراج وآخر يعطى نوراً على إيمانهم

أن تفهم أن الكبرياءية وما جعلها الله أصلاله من تكوين العالم المادى هي الحجاب المانع من رؤية الرب تعالى فيه كما ورد في صحيح مسلم مرفوعاً [نور أنى أراه] ؟ وإن انكشاف هذا الحجاب لا يكون إلا في الجنة وإن انكشافه الذى يوصل أهلها إلى أعلى وأكمل درجات المعركة به تعالى وهى الرؤية بغير كسيف ولا إدراك ولكن مع بقاء حجاب الكبرياء كما ورد في الصحيح وقد نصر العلم مذهب السلف على تأويلات الخلف والله الحمد .

قدمه ، بضئ مرة ، ويطفأ أخرى ، إذا كانت هذه حال نوره في الدنيا فاعطى على الجسر بمقدار ذلك ، بل هو نفس نوره ظهر له عيانا .

ولما لم يكن للنفاق نور ثابت في الدنيا بل وكان نوره ظاهراً لا باطناً أعطى نوراً ظاهراً مآله إلى الظلمة والذهاب .

وضرب الله عز وجل لهذا النور وعمله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة ، وهي الكوة في الحائط فهي مثل الصدر وفي تلك المشكاة زجاجة من أصنى الزجاج حتى شبهت بالكوكب الدرى في بياضه وصفائه وهي مثل القلب وشبهه بالزجاج لأنها جمعت أوصافاً هي في قلب المؤمن ، وهي الصفاء والرقه ، والصلابة . فيرى الحق والهدى بصفائه ، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته ، ويجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ عليهم ويشتد في الحق ويصلب فيه بصلابته ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ولا تعارضها بل تساعدوا وتعاضدها قال تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ) وَقَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) : وفي أثر القنوب [آية الله في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلها وأصفها]

وبازاء هذا القلب قلبان مذهبومان على طرفي نقيض أحدهما قلب حبرى قاس لا رحمة فيه ولا إحسان ولا بروت ولا صفاء له يرى به الحق بل هو جبار جاهل لا علم له بالحق ولا رحمة فيه للخلق وبازائه قاب ضعيف مائ ولا قوة فيه ولا استمسك بل يقبل كل صورة وليس له قوة حفظ تلك الصور ولا قوة التأثير في غيره وكل ما خالطه أثر فيه من قوى وضعيف وطيب وخبيث .

وفي الزجاج مصباح وهو النور الذي في القتيلة وهي حاملته ولذلك النور مادة وهو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيدها الشمس أول النهار وآخره فزيتهما من أصنى الزيت وأبعده من السكر حتى إنه ليكاد من صفائه يضىء بلا نار فهذه مادة نور المصباح

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة وأبعدها من الانحراف بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها لم تنحرف انحراف النصرانية ولا انحراف اليهودية بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضىء بنفسه ثم خالط النار فاشتدت بها إضاءته وقويت مادة ضوءه النارية كان ذلك نوراً على نور وهكذا المؤمن قلبه مضىء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ولكن لا مادة له من نفسه فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه وخالطت بشاشته فازداد نوراً بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة نور على نور فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثراً ثم يسمع الأثر مطابقاً لما شهدت به فطرته فيكون نوراً على نور فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته بحجلائه ثم يسمع الأثر جاء به مفصلاً فينشأ إيمانه عن شهادة الوحي والفطرة فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة

فذكر سبحانه وتعالى نوره في السموات والأرض ونوره في قلوب عباده المؤمنين النور المعقول المشهود بالصائر والقلوب والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار العالم العلوى والسفلى فهما نوران عظيمان وأحدهما أعظم من الآخر وكما أنه إذا فقد أحدهما

من مكان أو موضع لم يعيش فيه آدمى ولا غيره . لأن الحيوان إنما يتكون حيث النور . ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ولا يتكون البتة فكذلك أمة فقد فيها نور الوحي والإيمان ميتة وقلب فقد منه هذا النور ميت ولا بد لا حياة له البتة كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه

والله سبحانه وتعالى يقرن بين الحياة والنور كما في قوله عز وجل (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في اناس كن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وكذلك قوله عز وجل (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا) وقد قيل : إن الضمير في [جعلناه] عائد إلى [الأمر] وقيل [إلى الكتاب] وقيل : إلى [الإيمان] والصواب أنه عائد إلى [الروح] أي جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نوراً فسيأه روحاً لما يحصل به من الحياة وجعله نوراً لما يحصل به من الإشراق والإضاءة وهما متلازمان حيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح وجدت الإضاءة والاستنارة وحيث وجدت الاستنارة والإضاءة وجدت الحياة فن لم يقبل قلبه هذا الروح فهو ميت مظلم كما أن من فارق بدنه روح الحياة فهو هالك مضمحل فلماذا يضرب سبحانه وتعالى المثلين المائي والناري معاً لما يحصل بالماء من الحياة وبالتار من الإشراق والنور كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نأراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) وقال جل جلاله (ذهب الله بنورهم)

ولم يقل: بنارهم. لأن النار فيها الاحراق والاشراق. فذهب بما فيه من
الاضامة والاشراق وأبقى عليهم ما فيه من الأذى والاحراق.
وكذلك حال المنافقين ذهب نور إيمانهم بالنفاق وبقي في قلوبهم حرارة
الكفر والشكوك والشبهات تغل في قلوبهم وقلوبهم قد صليت بحرها وأذاها
وسمومها ووهجها في الدنيا فاصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة نارا موقدة
تطلع على الأفئدة.

فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان في الدنيا بل خرج منه وفارقه بعد
ان استضاء به وهو حال المنافق عرف ثم أنكسر وأقر ثم جحد فهو في ظلمات
أصم أبكم أعمى كما قال تعالى في حق إخوانهم من الكفار (والذين كذبوا
بآياتنا أصم وبكم في الظلمات) وقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون)
وشبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد
النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله لأن المنافقين بمخاطبتهم المسلمين
وصلاتهم معهم وصيامهم معهم وسماعهم القرآن ومشاهدتهم أعلام الإسلام
ومناره قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانا ولهذا قال تعالى في حقهم (فهم
لا يرجعون) إليه لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا فهم
لا يرجعون إليه وقال تعالى في حق الكفار (فهم لا يعقلون) لأنهم لم يعقلوا
الإسلام ولا دخلوا فيه ولا استناروا به بل لا يزالون في ظلمات الكفر
ضم بكم عمى.

فسيحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيا وإلى الإيمان وحقائقه
مناديا إلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيا وإلى طريق الرشاد هاديا
لقد أسمع منادى الإيمان لو صادف أذانا واعية وشقت مواعظ القرآن لو

واقفت قلباً خالية ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهاب والشهوات
فأطفأت مصابيحها وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشد
وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام وسكرت بشهوات
الغنى وشهادة الباطل فلم تصغ بعده إلى الملام، ووعظت بمواعظ أنكى فيها من
الأسنة والسهام. ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة وأمر الهوى والشهوة
وما لجرح بميت إيلام (١).

ولمثل الثاني المسمى قوله تعالى (أو كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ
وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ) والله يُحِيطُ
بِالْكَافِرِينَ) الصيب الذي يصوب من السماء أى ينزل منها بسرعة، وهو مثل
القرآن الذي به حياة القلوب كالطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان
فأدرك المؤمنون ذلك منه وعلوا ما يحصل به من الحياة لا خطر لها فلم يمنعهم
منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلثات التي
حذر الله بها من خالف أمره، وأخبره أنه منزلها بمن كذب رسول الله صلى
الله عليه وسلم أو ما فيه من الأوامر الشديدة، كجهاد الأعداء، والصبر على
الأمر أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إرادتها فهي كالظلمات
والرعد والبرق ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش
بما معه من الظلة والرعد والبرق، بل يستأنس لذلك ويفرح به لما يرجو من
الحياة والخصب. وأما المنافق فإنه عمى قلبه ولم يجاوز بصره الظلمة ولم ير إلا
برقا يكاد يخطف البصر ورعدا عظيما وظلمة فاستوحش من ذلك وخاف منه
فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد وهاله مشاهدة ذلك البرق
وشدة لمعانه وعظم نوره فهو خائف أن يختطف معه بصره لأن بصره أضعف

من أن يثبت معه فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف . ويرى ذلك البرق الخاطف فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه . وإن فقد الضوء قام متحيراً لا يدري أين يذهب . ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذي به حياة الأرض والنبات وحياته هو في نفسه . بل لا يدرك إلا رعداً وبرقاً وظلمة ولا شعور له بما وراء ذلك ، فالوحشة لازمة له ، والرعب والفزع لا يفارقه ، وأما من أنس بالصيب وعلم ما يحصل به من الخير والحياة والنفع . وعلم أنه لا بد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم استأنس بذلك ولم يستوحش منه ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب .

فهذا مثل مطابق للصيب الذي نزل به جبريل صلى الله عليه وسلم من عند رب العالمين تبارك وتعالى ، على قلب رسول الله ﷺ ليحيى به القلوب والوجود أجمع اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب من الماء حكمة بالغة وأسباباً منتظمة نظمتها العزيز الحكيم ،

فكان حظ المنافق من ذلك الصيب سجا به وعوده وبروقه فقط ، لم يعلم ما وراءه ، فاستوحش بما أنس به المؤمنون وارتاب بما أطمأن به العارفون فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش نحو الظهيرة وسمعه في المثل المائي كسمعه من يموت من صوت الرعد وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سماع الرعد .

وإذا صادف هذه العقول والاسماع والأبصار شبهات شيطانية وخيالات فاسدة وظنون كاذبة جالت فيها وصالت وقامت بها وقعت وأتسع فيها مجالها وكثر بها قيلها وقالها ففألت الاسماع من هذيانها والأرض من دواوينها وما أكثر المستحبين لهؤلاء والقابليين منهم وللقائمين بدعوتهم والمحامين عن حوزتهم والمقاتلين تحت ألويتهم والمكثرين نسوادمهم وعموم البلية بهم وضرر القلوب بكلامهم هتك الله أستارهم

في كتابه غاية الحتمك وكشف أستارهم غاية الكشف . وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ولم يزل عز وجل يقول (ومنهم ومنهم ومنهم) (١) حتى انكشف أمرهم وبانت حقائقهم وظهرت أسرارهم .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات وفي أوصاف الكفار آيتين وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية لعموم الابتلاء بهم وشدة المصيبة بمخاطبتهم فانهم من الجلدة مظهرون الموافقة والمناصرة بخلاف الكافر الذي قد تأبد بالعداوة وأظهر السريرة ودعاك بما أظهره إلى مزاييلته ومفارقته . ونظير هذين المثليين المثلان المذكوران في سورة الرعد في قوله تعالى : (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا)

فهذا هو المثل المائي شبه الوحي الذي أنزله لحياة القلوب بالماء الذي أنزله من السماء وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل . فقلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا وقلب صغير كواد صغير يسع علما قليلا فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها كما سالت الأودية بقدرها ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغشاء ونحوه مما يمر عليه السيل فيحتمله فيطفو هلى وجه الماء زبدا عاليا يمر عليه متراكبا ولكن تحته الماء الفرات الذى به حياة الأرض فيقذف الوادى ذلك الغشاء الى جنبتيه حتى لا يبقى منه شيء ويبقى الماء الذى تحت الغشاء يسقى الله تعالى به الأرض فيجنى به البلاد والعباد والشجر والدواب والغشاء يذهب جفاء يحنى وي طرح على شفير الوادى : فكم كذلك العلم والإيمان الذى أنزله الله فى القلوب فاحتمله : فأثار منها بسبب ملاحظته لها ما فيها من غشاء الشهوات وزيد

(١) أقرأ سورة براءة فانها تسمى الفاضحة . لانها فضحت المنافقين

الشبهات الباطلة يطفو في أعلاها . واستقر العلم والإيمان والهدى في جذو القلب فلا يزال ذلك الغشاء والزبد يذهب جفاء . ويؤول شيئا فشيئا حتى يزول كله ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جذر القلب يرده الناس فيشربون ويسقون ويمرعون .

وفي الصحيح من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فلم يعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به] .

فجعل النبي ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات .
(الطبقة الأولى) . ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم الذين قاموا بالدين علما وعملا ودعوة إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ فهو لا أتباع الرسل صلوات الله عليهم وسلامه حقا وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فزكت في نفسها وزكا الناس بها وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ولذلك كانوا ورثة الأنبياء ﷺ الذين قال الله تعالى فيهم (واذكر عبادنا إبراهيم وإسمحق ويعقوب أولى الأيدي والابصار) أى البصائر في دين الله عز وجل . فبالبصائر يدرك الحق ويعرف وبالقوى يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه في الدين والبصر في التأويل ففجرت من النصوص أنهار العلوم واستلبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهما خاصا كما قال أمير

المؤمنين على بن أبي طالب وقد سئل : هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس فقال لا والذي فلق الحبة وبر النسمة إلا فهما يؤتياه الله عبدا في كتابه (١) فهذا الفهم هو بمنزلة الكلاء والعشب الكثير الذي أنبتة الأرض وهو الذي تميزت به هذه الطبقة الثانية .

فإنها حفظت النصوص وكان همها حفظها وضبطها فوردها الناس وتلقوها منهم فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات ووردوها كل بحسبه (قد علم كل اناس مشربهم) وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ نضر الله أمرا سمع مقالتي فوعاها ثم أدركها كما سمعها . فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه (٢) وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثا الذي يقول فيه سمعت ورأيت وسمع الكثير من الصحابة وبورك في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علما وفقها قال أبو محمد بن حزم : وجدت فتاويه في سبعة أسفار كبار وهي بحسب ما بلغ جامعها وإلا فعلم ابن عباس كالبهر وفقيه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس وقد سمع كما سمعوا وحفظ القرآن كما حفظوا ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع فبذر فيها النصوص فأنتبت من كل زوج كريم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

-
- (١) رواه أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي عن أبي جحيفة .
(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود وقال الترمذي حسن صحيح ود نضر ، بتشديد الضاد وتخفيفها دعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة والحسن .

وَأَيْنَ تَقَعُ قِتاوَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَتَفْسِيرُهُ وَاسْتِنْبَاطُهُ مِنْ قِتاوَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَتَفْسِيرِهِ ؟ وَأَبُو هُرَيْرَةَ أَحْفَظُ مِنْهُ بَلْ هُوَ حَافِظُ الْأَمَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ يُؤَدِّي الْحَدِيثَ كَمَا سَمِعَهُ وَيُدْرِسُهُ بِاللَّيْلِ دُرْسًا فَكَانَتْ هِمَّتُهُ مَصْرُوفَةً إِلَى الْحِفْظِ وَتَبْلِيغِ مَا حَفَظَهُ كَمَا سَمِعَهُ وَهَمَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ مَصْرُوفَةٌ إِلَى التَّفْقُهِ وَالْإِسْتِنْبَاطِ وَتَفْجِيرِ النُّصُوصِ وَشِقِّ الْأَنْهَارِ مِنْهَا وَاسْتِخْرَاجِ كَنْزِهَا وَهَكَذَا النَّاسُ بَعْدَهُ قِسْمَانِ :

(قِسْمُ حَفَاطٍ) مَعْتَمِدُونَ بِالضَّبْطِ وَالْحِفْظِ وَالْإِدَاءِ كَمَا سَمِعُوا لَا يَسْتَنْبِطُونَ وَلَا يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَ مَا حَفَظُوهُ

(وَقِسْمُ مَعْتَمِدِينَ) بِالْإِسْتِنْبَاطِ وَاسْتِخْرَاجِ الْأَحْكَامِ مِنَ النُّصُوصِ وَالتَّفْقُهِ فِيهَا ، فَالْأَوَّلُ كَأَبِي زُرْعَةَ وَأَبِي حَاتِمٍ وَابْنِ دَاوُدَ وَقَبْلَهُمْ كَبِينْدَارُ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ وَعُمَرُو النَّاقِدِ وَعَبِيدُ الرَّزَاقِ وَقَبْلَهُمْ كَمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ غَنْدَرٍ وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْحِفْظِ وَالْإِيقَانِ وَالضَّبْطِ لَمَّا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِ اسْتِنْبَاطٍ وَتَصَرُّفٍ وَاسْتِخْرَاجِ الْأَحْكَامِ مِنْ أَلْفَاظِ النُّصُوصِ .

(وَالْقِسْمُ الثَّانِي) : كَالْكَافِ وَالشَّافِعِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَإِسْحَاقَ وَإِمَامَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَابْنِ خَلَّادٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَمُحَمَّدَ بْنَ نَصْرِ الْمَرْوَزِيَّ وَأَمْثَلَهُمْ مِنْ جَمْعِ الْإِسْتِنْبَاطِ وَالتَّفْقُهِ إِلَى الرِّوَايَةِ فَهَاتَانِ الطَّائِفَتَانِ هُمَا أَسْعَدُ الْخَلْقِ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ رَسُولَهُ ﷺ وَهُمْ الَّذِينَ قَبَلُوهُ وَرَفَعُوا بِهِ رَأْسًا .

(وَأَمَّا الطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ) وَهُمْ أَشَقُّ الْخَلْقِ فَهَمُ الَّذِينَ لَمْ يَقْبَلُوا هُدَى اللَّهِ وَلَمْ يَرْفَعُوا بِهِ رَأْسًا وَلَا حَفَظَ لَهُمْ وَلَا فَهَمُ وَلَا رِوَايَةَ وَلَا دِرَايَةَ وَلَا دَعَايَةَ . (فَالطَّبَقَةُ الْأُولَى) أَهْلُ رِوَايَةٍ وَدِرَايَةٍ .

(وَالطَّبَقَةُ الثَّانِيَّةُ) أَهْلُ رِوَايَةٍ وَرِعَايَةٍ وَلَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الدِّرَايَةِ بَلْ حَظَّهُمْ مِنَ الرِّوَايَةِ أَوْفَرُ .

(الطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ) الْأَشَقِيَاءُ لَا رِوَايَةَ وَلَا دِرَايَةَ وَلَا رِعَايَةَ إِنْ هُمْ إِلَّا

كالأنعام بل هم أضل سبيلا فهم الذين يضيقون الديار ، ويغفلون الأسعار إن هم أحدهم إلا بطنه وفرجه فإن ترقى همته كان همه مع ذلك لباسه وزينته فإن ترقى همته فوق ذلك كانت في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية قد ارتفعت همته عن نضرة النفس السكبكية إلى نضرة النفس السبعية فلم يعطها أحد من هؤلاء (١) فإن النفوس كلبية وسبعية وملكية فالكبكية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والعذرة والسبعية لا تقنع بذلك بل يقهر النفوس تريد الاستعلاء عليها بالحق والباطل وأما الملكية فقد ارتفعت عن ذلك وشمرت إلى الرفيق الأعلى فهمتها العلم والإيمان ومحبة الله تعالى والإجابة إليه والطاعة به والسكون إليه وإيثار محبته ومرضاته وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربها وليها لا لتقطع به عنه

ضرب سبحانه وتعالى مثلاً ثانياً وهو المثل الثامى فقال : (وما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) وهذا كالحديد والنحاس والفضة والذهب وغيرها فانها تدخل الكبر لتتحص وتخلص من الخبث فيخرج خبثها فيرمى به وي طرح ويبقى خالصها فهو الذى ينفع الناس

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ورفع بهده رأساً وحكم من لم يستجب له ولم يرفع بهده رأساً فقال (للذين استجابوا لربهم الحسنى . والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لاقتدوا به . أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد) والمقصود أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور والموت حيث الظلمة حياة الوجودين الروحى والجسمى بالنور وهو مادة الحياة كما أنه مادة

الاضاءة فلا حياة بدونها كما لا إضاءة بدونها وكما أنه به حياة القلب فيه انفساحه
وانشراحه وسعته كما في الترمذى عن النبي ﷺ [إذا دخل النور القلب انفسح
وانشرح قالوا : وما علامة ذلك ؟ قال : الإجابة إلى دار الخلود والتجاني عن
دار الغرور والاستعداد للبوت قبل نزوله]

ونور العبد هو الذى يصعد عمله وكله إلى تعالى فان الله تعالى لا يصعد إليه
من الكلم إلا الطيب وهو نور ومصدر عن النور ولا من العمل إلا الصالح
ولا من الأرواح إلا الطيبة وهى أرواح المؤمنين التى استنارت بالنور الذى
أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين خلقوا من نور كما فى صحيح مسلم عن
عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال [خلقت الملائكة من نور وخلقت
الشياطين من نار وخلق آدم مما وصف لكم]

فلما كانت مادة الملائكة من نور كانوا هم الذين يعرجون إلى ربهم تبارك
وتعالى وكذلك أرواح المؤمنين هى التى تعرج إلى ربها وقت قبض الملائكة لها
فيفتح لها باب السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة إلى أن ينتهى بها إلى
السماء السابعة فتوقف بين يدي الله عز وجل ثم يأمر أن يكتب كتابه فى أهل
عليين فلما كانت هذه الأرواح روحا ذاكية طيبة نيرة مشرقة صعدت إلى الله عز
وجل مع الملائكة وأما الروح المظلمة الخبيثة السكدرية فانها لا تفتح لها أبواب
السماء ولا تصعد إلى الله تعالى بل ترد من السماء الدنيا إلى عالمها وتحتقرها لأنها
أرضية سفلية والأولى علوية سمائية فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هى
منه وهذا مبين فى حديث البراء بن عازب الطويل الذى رواه الإمام أحمد
وأبو عوانة الاسفرائينى فى صحيحه والحاكم وغيره وهو حديث صحيح (١)

(١) ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب فى عذاب القبر
ج ٤ ص ١٠ عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فاتبيننا إلى القبر ولم يلحد فجلس

والمقصود أن الله عز وجل لا يصعد اليه من الاعمال والآقوال والأرواح إلا ما كان منها نورا وأعظم الخلق نورا أقرهم اليه وأكرمهم عليه وفي المسند من حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ [أن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره فمن أصاب من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل فلذلك أقول : جف القلم على علم الله تعالى] وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته والله تعالى الموفق

وهذا النور الذي ألقاه عليهم سبحانه وتعالى هو الذي أحياهم وهداهم فأصاب الفطرة منه حظها ولكن لما لم يستقبل بتمامه وكاله أكمله لهم وأتمه بالروح الذي ألقاه على رسله عليهم الصلاة والسلام والنور الذي أوجاه اليهم فأدرسته الفطرة بذلك النور السابق الذي حصل لها يوم إلقاء النور فأنضاف نور الوحي والنبوة الى نور الفطرة (نور على نور) فأشرقت منه القلوب واستنارت به الوجوه وحييت به الأرواح وأذعن به الجوارح للطاعات طوعا واختيارا فازدادت به القلوب حياة الى حياتها .

ثم دلها ذلك النور على نور آخر هو أعظم منه وأجل وهو نور الصفات العليا الذي يضمحل فيه كل نور سواء فصاحته ببصائر الإيمان مشاهدة نسبتها الى القلب نسبة المرئيات الى العين ذلك لاستيلاء اليقين عليها وانكشاف حقائق الإيمان لها حتى كأنها تنظر الى عرش الرحمن تارة .

رسول الله ﷺ وجلسنا حوله - الحديث وهو طويل . قال المنذرى : ورواه محتج بهم في الصحيح

وتعالى بارزا وإلى استوائه عليه كما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه وكما
أخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم يدبر أمر الممالك ويأمر وينهى
ويخلق ويرزق ويميت ويحيي ويقضى وينفذ ويعز ويذل ويقلب الليل والنهار
ويداول الأيام بين الناس ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتى بأخرى
والرسل من الملائكة عليهم السلام بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده
به وأوامره ومراسمه متعاقبة على تعاقب الآيات نافذة بحسب إرادته فما شاء
كان كما شاء في الوقت الذى يشاء على الوجه الذى يشاء من غير زيادة ولا
نقصان ولا تقدم ولا تأخر وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها
وفي الأرض وما عليها وما تحتها وفي البحار والجو وسائر أجزاء العالم
وذواته يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء وقد أحاط بكل شيء علما
وأحصى كل شيء عددا ووسع كل شيء رحمة وحنانة وحكمة ووسع سمعه
الأصوات فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه بل يسمع ضجيجها على
اختلاف لغاتها وكثرة حاجاتها ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلظه
كثرة المسائل ولا يتبرم بالخاح ذوى الحاجات وأحاط بصره بجميع
المزئيات فيرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء
فالغيب عنده شهادة والسر عنده علانية يعلم السر وأخفى من السر
فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفاته
وأخفى منه ما لم يخطر به بعبد . فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في
وقت كذا وكذا . له الخلق والأمر ، وله الملك والحمد ، وله الدنيا
والآخرة ، وله النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن له الملك كله وله الحمد
كله وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، شملت قدرته على كل شيء ،
ووسعت رحمته كل شيء . وسعت نعمته كل حي (يسأله من في السموات
والأرض كل يوم هو في شأن) يغفر ذنبا ويفرج هما ويكشف كربا

ويجبر كسيراً ، ويفنى فقيراً ، ويعلم جاهلاً ، ويهدي ضالاً ويرشد حيران
ويغث لطفان ، ويفك عانيا ، ويشبع جائعاً ، ويكسو دارياً ، ويشفي مريضاً
ويعافي مبتلي ، ويقبل تائباً ويجزي محسناً وينصر مظلوماً ويقصم جباراً
ويقبل عثرة ويستتر عورة ويؤمن روعة ويرفع أقواماً ويضع آخرين لا ينام
ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه الليل قبل النهار وعمل
النهار قبل الليل حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه
بصره من خلقه يمينه ملائ لا تخفيها نفقة . سحاء الليل والنهار . أرأيتم
ما أتفق منذ خلق الخلق ؟ فإنه لم يغض ما في يمينه قلوب العباد ونواصيهم بيده
وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره الأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسماوات
مطويات بيمينه يقبض سمواته كلها بيده الكريمة والأرض باليد الأخرى ثم
يهزهن ثم يقول أنا الملك أنا الملك أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئاً وأنا
الذي أعيدها كما بدأتها لا يعاظمه ذنب أن يغفره ولا حاجة يسألها أن يعطيها
لو أن أهل سمواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم . وإنسهم وجنهم كانوا
على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً . ولو أن أول خلقه
وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه
شيئاً ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه وإنسهم وجنهم وحيمهم وميتهم ووطبهم
وبأسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كلا منهم ما سأله ما نقص ذلك
ما عنده مثقال ذرة ولو أن أشجار الأرض كلها من حين وجدت إلى أن تنقضي
الدنيا أقلام .

والبحر ووراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد فسكتب بتلك الأقلام
وذلك المداد ألفيت الأقلام ونفذ المداد ولم تنفذ كلمات الخالق تبارك وتعالى
وكيف تهنى كلماته جل جلاله ؟ وهى لا بداية لها ولا نهاية والمخلوق له
بداية ونهاية فهو أحق بالفناء والنقاد ؟ وكيف يفنى المخلوق غير المخلوق هو

الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء تبارك وتعالى أحق من ذكر وأحق من عبد وأحق من حمد وأولى من شكر وأنصر من ابتغى وأرأف من ملك وأجود من سئل وأعفى من قدر وأكرم من قصد وأعدل من انتقم حله بعد عله وعفوه بعد قدرته ومغفرته عن عزته ومنعه عن حكيمته ومولاته عن إحسانه ورحمته .

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعى لديه ضائع
إن عذبوا فبعده ، أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

هو الملك لا شريك له والفرد فلا تد له والغنى فلا ظهير له والصمد فلا ولد له ولا صاحبة له والعلی فلا شبيه له ولا سبی له كل شيء هالك إلا وجهه وكل مالك زائل إلا ملكه وكل ظل قاص إلا ظله وكل فضل منقطع إلا فضله إن يطاع إلا بإذنه ورحمته وإن يعصى إلا بعلمه وحكمته يطاع فيشكر ويعصى فيمتجاوز ويغفر كل نقمة منه عدل وكل نعمة منه فضل أقرب شهيد وأدنى حفيظ حال دون النفوس وأخذ بالنواصي وسجل الآثار وكتب الآجال فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيب عنده شهادة عطاؤه كلام وعذابه كلام (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات اضمحل عندها كل نور ووراء هذا ما لا يخطر بالبال ولا تناله عبارة .

والمقصود: أن الذكر ينور القلب والوجه والأعضاء وهو نور العبد في دنياه وفي البرزخ وفي القيامة .

وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد تخرج أعماله وأقواله ولها نور وبرهان . حتى إن من المؤمنين من يكون نور أعماله إذا صعدت إلى الله

تبارك وتعالى كنور الشمس . وهكذا نور روجه إذا قدم بها على الله عز وجل
وهكذا يكون نوره الساعى بين يديه على الصراط . وهكذا يكون نور وجهه في
القيامة والله تعالى المستعان وعليه الاتكال .

(الخامسة والثلاثون) : أن الذكر رأس الأصول . وطريق عامة الطائفة
ومنشور الولاية . فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل
فليستظهر . وليدخل على ربه عز وجل : يجد عنده كل ما يريد فان وجد ربه
عز وجل وجد كل شيء . وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شيء .

(السادسة والثلاثون) : أن في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البتة إلا
ذكر الله عز وجل فاذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر
بطريق الإصالة واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذى يسد الخلة ويفنى الفاقة
فيكون صاحبه غنيا بلا مال عزيزا بلا عشيرة مهيما بلا سلطان فاذا كان غافلا
عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة ماله ذليل مع سلطانه ،
حقير مع كثرة عشيرته

(السابعة والثلاثون) : أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويقرب
البعيد ويبعد القريب فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه
وعزومه والعذاب كل العذاب في تفرقها وتشتمها عليه وافتراطها له والحياة
والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزومه وإرادته

والذكر يفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والاحزان والحسرات
على موت حظوظه ومطالبه ويفرق أيضا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه
وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلشى وتضمحل ويفرق أيضا ما اجتمع على
حربه من جند الشيطان فان إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية وكلما
كان أقوى طلبا لله سبحانه وتعالى وأشد تعلقا به وإرادة له كانت السرية
أكثف وأكثر وأعظم شوكة بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة

ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر

وأما تقريبه البعيد فإنه يقرب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل فلا يزال يلجج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها حينئذ تصغر في عينه الدنيا وتعظم في قلبه الآخرة ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت عنه الدنيا - كلما قربت هذه مرحلة ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر

(الثانية والثلاثون) أن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سباته والقلب إذا كان نائما فاته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومه شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته ولا تحصل يقظته إلا بالذكر فإن الغفلة نوم ثقيل

(التاسعة والثلاثون) أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم ثمرتها فالذكر يشمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد

وهو أصل كل مقام وقاعدته التي ينشأ ذلك المقام عليها كما تنبئ الحائط على أسسها وكما يقوم السقف على حائطه وذلك أن العبدان لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم فالغفلة نوم القلب أو موته

(الأربعون) أن الذاكر قريب من مذكوره ومذكوره معه وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والاحاطة العامة فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق كقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ) (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) ولذا ذكر من هذه المعية نصيب وافر كما في الحديث

الإلهي ، أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت في شفتاه ، (١) وفي أثر آخر « أهل ذكرى أهل مجالستي ، وأهل شكرى أهل زيارتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لأقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبيهم ، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين . وإن لم يتوبوا فأنا طبيبيهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعاييب ، والمعيبة الحاصلة لهذا كرمعية لا يشبهها شيء ، وهي أخص من المعيبة الحاصلة للمحسن والمتق ، وهي معيبة لا تدركها العبارة ولا تنالها الصفة . وإنما تعلم بالذوق وهي مزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والحديث ، بين الرب والعبد ، بين الخالق والمخلوق ، بين العابد والمعبود ، وإلا وقع في حلول يضاهي به النصاري ، أو اتحاد يضاهي به القائلين بوحدة الوجود ، وأن وجود الرب عين وجود هذه الموجودات ، بل ليس عندهم رب وعبد ، ولا خلق وحق ، بل الرب هو العبد والعبد هو الرب ، والخلق المشبه هو الحق المنزه . تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا .

والمقصود أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة وإلا فاذا استوى عليه سلطان الذكر وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ولج في باب الحلول والاتحاد ولا بد .

(الحادية والأربعون) : أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحل على الخيل في سبيل الله عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل . وقد تقدم أن « من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي » الحديث .

وذكر ابن أبي الدنيا عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قيل لأبي

الدرداء : إن رجلا أعتق مائة نسمة . قال : « إن مائة نسمة من مال رجل كثير . وأفضل من ذلك وأفضله إيمان ملزوم بالليل والنهار ، وأن لا يزال لسان أحكم رطباً لذكر الله عز وجل » .

وقال ابن مسعود : « لأن أسبغ الله تعالى تسليحات أحب إلى من أن أنفق عددهن دنائير في سبيل الله عز وجل » .

وجلس عبد الله بن عمرو . وعبد الله بن مسعود فقال عبد الله : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أحب إلى من أن أنفق عددهن دنائير في سبيل الله عز وجل » فقال عبد الله بن عمرو : « لأن أجد في طريق فأقولن أحب إلى من أن أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله عز وجل » .

وقد تقدم حديث أبي الدرداء . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليسكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : اذكروا الله] رواه ابن ماجه والترمذى وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

(الثانية والأربعون) : أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله تعالى من لم يذكره وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم [أن موسى عليه السلام قال : رب قد أنعمت على كثيرا . فدلني على أن أشكرك كثيرا . قال : اذكرني كثيرا فإذا ذكرتي كثيرا فقد شكرتني كثيرا . وإذا نسيتني فقد كفرتني] وقد ذكر البيهقي أيضا في شعب الإيمان عن عبد الله بن سلام قال : قال موسى عليه السلام . (يارب ما الشكر الذى ينبغى لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن لا يزال لسانك رطباً من ذكرى . قال : يارب إنى أكون على حال أجلك أن أذكرك فيها . قال وما هى ؟ قال أكون جنباً أو على الغائط أو إذا بليت

فقال : وإن كان . قال : يا رب فما أقول ؟ قال تقول سبحانك وبحمدك .
وجنبني الأذى . وسبحانك وبحمدك فقنى [الأذى]

قلت : قالت عائشة (كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه ، ولم تستن حالة من حالة . وهذا يدل على أنه كان يذكر ربّه تعالى في حال طهارته وجنابته وأما في حال التخلّي فلم يكن يشاهده أحد يحكى عنه . ولكن شرع لآمته من الأذكار قبل التخلّي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم « بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا » (١) وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب لأنه لا بد لقلبه من ذكر ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال كما قال القائل :

يراد من القلب نسيانكم • وتأبى الطباع على النافل

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة فليس مما شرع لنا ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ ولا نقل عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم وقال عبد الله بن أبي الهذيل (إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السوق ويحب أن يذكر على كل حال إلا على الخلاء ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحالة وهي من أجل الذكر : فذكر كل حال بحسب ما يليق بها واللائق بهذه الحال التمتع بثوب الحياء من الله تعالى وإجلاله وذكر نعمته عليه وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذى له الذى لوبق فيه لقمته فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذى به .

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه إن قصى بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة

وكان على بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه وقال [يا لها نعمة لو يعلم الناس قدرها] وكان بعض السلف يقول [الحمد لله الذي أذاقني لذة وأبقى في منفعته وأذهب عني مضرتي] وكذلك ذكره حال الجماع ذكر هذه النعمة التي من بها على . وهي أجل نعم الدنيا . فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها حاج من قلبه هائج الشكر فالذكر رأس الشكر .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ [والله يامعاذ اني لأحبك] فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك [١] يجمع بين الذكر والشكر كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا) فالذكر والشكر جوامع السعادة والفلاح .

(الثالثة والأربعون) أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبا بذكره فانه أتقاه في أمره ونهيه وجعل ذكره شعاره فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار وهذا هو الثواب والأجر . والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلقي لديه وهذه هي المنزلة .

وعمال الآخرة على قسمين منهم من يعمل على الأجر والثواب ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى ويسابق إلى القرب منه وقد ذكر الله تعالى النوعين في سورة الحديد في قوله تعالى (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) فهؤلاء أصحاب الاجور والثواب ثم قال (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فهؤلاء أصحاب المنزلة

والقرب ثم قال (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) ف قيل هذا عطف على الخبر من (الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) أخبرهم عنهم بأنهم هم الصديقون وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم ثم أخبر عنهم أن لهم أجرا وهو قوله تعالى : (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) فيسكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور أنهم صديقون وشهداء فهذه هي المرتبة والمنزلة وقيل تم الكلام عند قوله تعالى . (الصَّادِقُونَ) ثم ذكر بعد ذلك حال الشهداء فقال (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) فيكون قد ذكر المتصدقين أهل البر والإحسان ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان في قلوبهم وامتأوا وامتته فهم الصديقون وهم أهل العلم والعمل والأولون أهل البر والاحسان ولكن هؤلاء أكمل صدقية منهم ثم ذكر الشهداء وأنه تعالى يجري عليهم رزقهم ونورهم لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أثابهم الله تعالى عليها أن جعلهم أحياء عنده يرزقون فيجري عليهم رزقهم ونورهم فهؤلاء السعداء .

ثم ذكر الاشقياء فقال (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)

والمقصود أنه سبحانه وتعالى ذكر أصحاب الأجور وأصحاب المراتب وهذان الأمران هما اللذان وعدهما فرعون السحرة إن غلبوا موسى عليه الصلاة والسلام فقالوا (إِنَّا لَنَآ لَاجِرًا إِن كُنتُمْ تَخُنُ الْفَاسِقِينَ) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّا لَنَكُونُ الْمُقَرَّبِينَ) أجمع لكم بين الأجر والمنزلة عندى والقرب منى فالعمل عملوا على الأجور والعارفون عملوا على المراتب والمنزلة والزاني عند الله وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك وأعمال أولئك

البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء . وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال : قال (موسى عليه السلام يا رب خلقت أكرم عليك ؟ قال الذي لا يزال لسانه رطبا بذكرى . قال يا رب فأى خلقت أعلم قال الذي يلمس إلى علمه علم غيره ، قال يا رب أى خلقت أعدل ؟ قال الذي يقضى على نفسه كما يقضى على الناس قال يا رب أى خلقت أعظم ذنبا ؟ قال الذي يتهمنى قال يا رب وهل يتهمك أحد قال الذي يستخيرنى ولا يرضى بقضائى)

وذكرنى أيضا عن ابن عباس قال (لما وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال يا رب أى عبادك أحب إليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى)

وقال كعب (قال موسى عليه السلام يا رب أقرب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك ؟ فقال تعالى يا موسى أنا جليس من ذكرنى قال إني أكون على حال أجلك عنها قال ما هى يا موسى ؟ قال عند الغائط والجنابة قال اذكرنى على كل حال) وقال عبيد بن عمير : تسليحة بحمد الله فى صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجرى معه ذهباً وقال الحسن (إذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من أولى بالكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وبما رزقناهم ينفقون ؟ قال فيقومون فيخطون رقاب الناس قال ثم ينادى مناد سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم أين الذين كانت (لا تلبيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ؟ قال فيقومون فيخطون رقاب الناس قال ثم ينادى مناد سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم أين الحمادون لله على كل حال ؟ قال : فيقومون وهم كثير . ثم يكون التنعيم والحساب فيمن بقى (١) وأتى

(١) روى القطعة الاولى منه التى فى قيام الليل - البيهقي عن أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ وذكرها الحفاظ بن كثير فى تفسير الآية من سورة السجدة

رجل أبا مسلم الخولاني فقال له أوصني يا أبا مسلم قال أذكر الله تعالى تحت شجرة كل ومدرّة فقال زدني فقال أذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذكر الله تعالى مجنوناً قال وكان أبو مسلم يكثير ذكر الله تعالى فرآه رجل بذكر الله تعالى فقال أجنون صاحبكم هذا ؟ فسمعه أبو مسلم فقال ليس هذا بأجنون يا ابن أخي ولكن هذا ذو الحنون

(السادسة والأربعون) (١) أن في القلب قسوة لا يذهبها إلا ذكر الله تعالى فينبغي للعبد أن يداوى قسوة قلبه بذكر الله تعالى وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلاً قال للحسن يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي قال أذهب بالذكر ، وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة . فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل

(السابعة والأربعون) أن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضة فالقلوب مريضة ودواؤها وشفائها ذكر الله تعالى قال مكحول [ذكر الله تعالى شفاء وذكر] الناس داء وذكر البيهقي عن مكحول مرفوعاً مرسل (٢) [ذكرته شفاء وعافاها فإذا غفلت عنه انتكست] كما قيل :

إذا مرضنا تدأويننا بذكركم فترك الذكر أحياناً فنتكس
(الثامنة والأربعون) أن الذكر أصل موالاته الله عز وجل ورأسها والغفلة أصل معاداته ورأسها فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيؤاليه . ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه قال الأوزاعي قال :

عن ابن أبي حاتم بسنده إلى أسماء

- (١) حصل غلط في عدد فوائد الذكر واستدرك هنا
(٢) سقط هنا كلام ولعله إن القلوب إذا مرضت وذكرته شفها

حسان بن عطية « ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره » فهذه المعاداة سببها الغفلة ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من يذكره فينتد يتخذ الله عدوا كما اتخذ الذاكر وليا .

(التاسعة والأربعون) أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى . فالذكر جلاب للنعم دفاع للنقم قال الله سبحانه وتعالى (إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) وفي القراءة الأخرى (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ) فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله . ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى فمن كان أكل إيمانا وأكثر ذكرا كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم ومن نقص نقص ذكرا بذكر ونسيانا بنسيان . وقال سبحانه وتعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) والذكر رأس الشكر كما تقدم والشكر جلاب للنعم وموجب للزيد قال بعض السلف رحمة الله عليهم « ما أقيح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن برك »

(الخمسون) أن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز . قال سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور وإذا حصلت لهم صلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات إلى النور فأى خير لم يحصل لهم ؟ وأى شر لم يندفع عنهم ؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله وبالله التوفيق

(الحادية والخمسون) : أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر فانها رياض الجنة وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال . خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قلما يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال مجالس الذكر ثم قال . اغدوا وروحوا واذكروا فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فليتنظر كيف منزلة الله تعالى عنده فان الله تعالى ينزل العبد من حيث أنزله العبد من نفسه .

(الثانية والخمسون) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه كما أخرجنا في الصحيحين من حديث الأعمش عن أبي صالح (١) عن أبي هريرة قال . قال رسول الله ﷺ إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس لا يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا . هلموا إلى حاجتكم قال

(١) انما رواه من هذا الطريق البخاري وأما مسلم فرواه من طريق وهيب عن سهيل عن أبي هريرة

(٢) قال الأستاذ الامام السيد رشيد رضا رحمه الله ورضي عنه في صحيح مسلم « سيارة فضلا ، وليس فيه عن كتاب الناس ولا في البخاري وليس في هذا « سيارة فضلا ، أيضا ولكن في رواية الاسماعيلي له لفظة « فضلا ، وهي بضمينين والثالث للقاضي عياض في شرحهما لمسلم . وروى فضلا . قال العلماء ومعناه على جميع الروايات أنهم ملائكة زائدون على الحفظ وغيرهم من المرتبين مع الخلائق فالظاهرة بما في النسخة الهندية من زيادة عن كتاب الناس أنها تفسير للفضل أدرج في الأصل غلطاً وربما كان في الأصل ما يبين ذلك فسهط عند النسخ أو الطبع وكان في الحديث أغلاط أخرى في النسخة صححناها على رواية البخاري

فيحفظونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم تعالى وهو أعلم بهم (١)
ما يقول عبادي ؟ قال يقولون يسبحونك ويكثرونك ويحمدونك : قال :
فيقول هل رأوني قال فيقولون لا والله مارأوك قال فيقول كيف لو رأوني
قال فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تحميذا وتحييذا
وأكثر لك تسبيحا قال : فيقول : ما يسألوني قال يسألونك الجنة قال : يقول
وهل رأوها قال يقولون لا والله يارب ما رأوها ، قال فيقول : فكيف لو
أنهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها
طلبيا وأعظم فيها رغبة فيقول فم يتعوذون ؟ قال يقولون من النار قال : يقول
وهل رأوها ؟ قال يقولون لا والله يارب ما رأوها . قال يقول فكيف لو رأوها ؟
قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال يقول فأشهدكم
أنى قد غفرت لهم . فيقول ملك من الملائكة . فيهم فلان ، ليس منهم إنما جاء
لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم ، (٢)

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جلسهم فلم نصيب من قوله (وجعلني
مباركا أينما كنت) فهذا المؤمن مبارك أين ما حل ، والفاجر مشؤم أين حل ،
فيجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس الغفلة مجالس الشياطين . وكل مضاف إلى
شكله وأشباهه وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه .

(الثالث والخمسون) أن الله عز وجل يباهى بالذاكرين ملائكته كما
روى مسلم في صحيحة عن أبي سعيد الخدري قال خرج معاوية على خلقه في
المسجد فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى قال والله ما أجلسكم إلا
ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال

(١) أى بالذاكرين وفي رواية منهم أى من الملائكة
(٢) وفي رواية مسلم هم القوم لا يشقى جلسهم

أما إني لم استخلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزاتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني . وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : [ما أجلكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن علينا بك قال الله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال أما إني لم أستخلفكم تهمة لكم ولكنني أتاني جبريل فأخبرني أن الله تبارك وتعالى يباهي بك الملائكة] .

فهذه المناجاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له وأن له منزلة على غيره من الأعمال .

(الرابعة والخمسون) أن مدام الذكر يدخل الجنة وهو يضحك لما ذكره ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه عن أبي الدرداء قال [الذين لا تزال أسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك] .

(الخامسة والخمسون) أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى فالمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى قال سبحانه وتعالى (وأقم الصلاة لذكرى) قيل المصدر مضاف إلى الفاعل أي لأذكرك بها وقيل مضاف إلى المذكور أي لتذكرني بها واللام على هذا لام التعليل وقيل هي اللام الوقفية أي أقم الصلاة عند ذكرى كقوله (أقم الصلاة لدلوك الشمس) وقوله تعالى (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) وهذا المعنى يراد بالآية لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر لأن هذه اللام الوقفية عليها أسماء الزمان والظروف والذكر مصدر إلا أن بقدر زمان محذوف أي عند وقت ذكرى وهذا محتمل والأظهر أنها لام التعليل أي (٧١ - وابل)

أقم الصلاة لأجل ذكرى ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره وإذا ذكر العبد ربه فذكر الله تعالى سابق على ذكره فانه لما ذكره ألهمه ذكره فالمعاني الثلاثة حق .

وقال سبحانه وتعالى : (أَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) فقبل المعنى أنكم في الصلاة تذكرون الله وهو ذاكر من ذكره ولذكر الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه . وهذا يروى عن ابن عباس . وسليمان . وأبي الدرداء . وابن مسعود رضي الله عنهم .

وذكر ابن أبي الدنيا عن فضل بن مرزوق عن عطية (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال هو قوله تعالى (فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) فذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه وقال ابن زيد وقواده معناه ولذكر الله أكبر من كل شيء .
وقيل لسليمان أى الأعمال أفضل ؟ فقال اما تقرأ القرآن (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) .

ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء المتقدم [ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وخير لكم من إلتقاء الذهب والورق] الحديث .
وكان شيخ الإسلام أبوا العباس قدس الله روحه يقول الصحيح ان معنى الآية ان الصلاة فيها مقصودان عظيمان واحداهما أعظم من الآخر فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وهى مشتملة على ذكر الله تعالى وما فيها من ذكر الله أعظم من نهىها عن الفحشاء والمنكر .

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن عباس أنه سئل أى العمل أفضل ؟ قال [ذكر الله أكبر]

وفي السنن عن عائشة عن النبي ﷺ قال [إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله تعالى] رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

(السادسة والخسون) ان أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكر الله عز وجل فأفضل الصوم أكثرهم ذكر الله عز وجل في صومهم وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكر الله عز وجل . وأفضل الحاج أكثرهم ذكر الله عز وجل . وهكذا سائر الأحوال .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثا مرسلًا في ذلك [أن النبي ﷺ سئل أي أهل المسجد خير ؟ قال : أكثرهم ذكر الله عز وجل قيل أي أهل الجنازة خير ؟ قال : أكثرهم ذكر الله عز وجل . قيل : فأى المجاهدين خير ؟ قال أكثرهم ذكر الله عز وجل : فأى الحجاج خير (١) ؟ قال : أكثرهم ذكر الله عز وجل . قيل فأى العباد خير ؟ قال أكثرهم ذكر الله عز وجل] قال أبو بكر (٢) ذهب الذاكرون بالخير كله .

وقال عبيد بن عمير [إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه وبخلتم بالمال أن تنفقوه وجبتم عن العدو أن تقا تلوه فأكثروا من ذكر الله عز وجل] (السابعة والخسون) أن إدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية ، أو مالية أو بدنية مالية ، كحج التطوع . وقد جاء ذلك صريحا في حديث أبي هريرة [أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يا رسول الله : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم . يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم

(١) في نزل الإبرار [وأى للعواد خير]

(٢) هو ابن أبي الدنيا مخرج الحديث

ولهم فضل أموالهم يحبون بها ، ويعتصرون ، ويجاهدون . فقال : ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ، ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون ، وتحمدون ، وتكبرون دبر كل صلاة [الحديث متفق عليه

فجعل الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد ، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر ، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به ، فازدادوا إلى صدقاتهم وعبادتهم بما لهم التعمد بهذا الذكر فحازوا الفضيلتين فنفسهم الفقراء وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم قد شاركوه في ذلك وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه فقال [ذلك فضل يؤتيه من يشاء]

وفي حديث عبد الله بن بسر قال . [جاء أعرابي ، فقال يا رسول الله : كثرت على خلال الإسلام وشرائعه فأخبرني بأمر جامع يكفيني ؟ قال عليك بذكر الله تعالى قال ويكفيني يا رسول الله قال نعم ويفضل عنك] (١) فدلله الناصح الأمين صلى الله عليه وآله وسلم على شيء يعينه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستسكثار منها فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أحبه وأحب ما يحب ، فلا شيء أحب إليه من التقرب إليه بشرائع الإسلام فدلله صلى الله عليه وسلم على ما يتمكن به من شرائع الإسلام وتسهل به عليه وهو ذكر الله عز وجل يوضحه

(الثامنة والخمسون) أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على

(١) وفي رواية بلفظ [أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أشبهت به قال لا يزال لسانك رطباً بذكر الله] رواه الترمذی وقال حسن غريب .

طاعته فانه يحبها إلى العبد ويسهلها عليه ، ويلذها له ، ويجعل قوة عينه فيها ونعيمه وسروره بها ، بحيث لا يجد من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل والتجربه شاهدة بذلك يوضحه .

(التاسعة والخمسون) أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب ، ويسير العسير ويخفف المشاق فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان ولا على عسير إلا تيسر ولا مشقة إلا خفت ولا شدة إلا زالت ولا كربة إلا انفرجت فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر والفرج بعد الغم والهم يوضحه

(الستون) أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها وله تأثير عجيب في حصول الأمن فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه حتى كأن المخاوف الذي يجدها أمان له والغافل خائف مع أمته حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف ومن له أدنى حسن قد جرب هذا وهذا والله المستعان

(الحادية والستون) أن الذكر يعطى الذاكر قوة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه

وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سنته وكلامه وإقدامه وكتابته أمرا عجيبا . فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة ، وأكثر . وقد شاهد العسكري من قوته في الحرب أمرا عظيما . وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وعليها رضى الله تعالى عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أحذا مضاجعهما ثلاثا وثلاثين ويحمدا ثلاثا وثلاثين ويكبرا أربعا وثلاثين ، لما سأله الخادم ، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي ، والخدمة . فعلمهما ذلك . وقال : انه خير

سكنا من خادم] (١) فقيل : ان من داوم على ذلك وجد قوة في نومه ، مغنيه عن خادم .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثرا في هذا الباب ويقول إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش قالوا يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ؟ فقال قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله . فلما قالوا حملوه ، حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال حدثنا مشيختنا أنه باغهم [أن أول ما خلق الله عز وجل حين كان عرشه على الماء حملة العرش قالوا ربنا لم خلقتنا ؟ قال خلقتكم لحمل عرشي قالوا : ربنا ومن يقوى على حمل عرشك . وعليه عظمتك وجلالك ووقارك ؟ قال لذلك خلقتكم فأعادوا عليه ذلك مرار فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله فحملوه]

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة وتحمل المشاق والدخول على الملوك ومن يخاف وركوب الأهوال ولها أيضا تأثير في رفع الفقر كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن أسد ابن وداعة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ [من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبدا] وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي عدوا أو ناهض حصنا قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأنه ناهض يوما حصنا للروم فانهزم فقالها المسلمون وكبروا فانهدم الحصن

(الثانية والستون) أن عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار ولكن الفترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم فإذا انجلي الغبار وانكشف رأيهم الناس وقد حازوا نصيب السبق

قال الوليد بن مسلم قال محمد بن عجلان سمعت عمر مولى غفرة يقول :
« إذا انكشف الغطاء (للناس) يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملا
أفضل ثوابا من الذكر فيمتحسر عند ذلك أقوام فيقولون ما كان شيء أيسر
علينا من الذكر ،

وقال أبو هريرة . قال رسول الله ﷺ « سيروا سبق المفردون قالوا
وما المفردون ؟ قال الذين اهتروا في ذكر الله تعالى يضع الذكر عنهم أوزارهم ،
اهتروا بالشيء وفيه أولعوا به ولزموه وجعاه دأبهم .
وفي بعض ألفاظ الحديث « المستهترون بذكر الله ، ومعناه الذين أولعوا
به يقال استهتر فلان بكذا إذا ولع به

وفي تفسير آخر أن « اهتروا في ذكر الله ، أى كثروا وهلك أقرانهم وهم
في ذكر الله تعالى يقال أهر الرجل فهو مهتر إذا سقط في كلامه من السكر .
« والهر ، السقوط من الكلام كانه بقى في ذكر الله تعالى حتى خرف وأنكر
عقله « والهر ، الباطل أيضا ورجل مستهتر إذا كان كثير الأباطيل .
وفي حديث ابن عمر « أعوذ بالله أن أكون من المستهترين ،

وحقيقة اللفظة أن (الاستهتار) الإكثار من الشيء . والولع به حقا كان
أو باطلا . وغلب استعماله على المبطل حتى إذا قيل فلان مستهتر لا يفهم منه
إلا الباطل وإنما إذا قيد بشيء تقيد به نحو هو مستهتر وقد أهر في ذكر الله
تعالى أى أولع به وأغرى به يقال استهتر فيه وبه (١) وتفسير

(١) قال فى المصباح المنير استهتر اتبع هواه فلا يبالي بما يضعف وقال
الزمخشري فى الفائق بن عمر رضى الله عنه أعوذ بك أن أكون من المستهترين هم
السقاط الذين لا يبالون ما قيل لهم وما شتموا به اه . والحديث رواه الترمذى
والحاكم بلفظ (سبق المفردون المستهترون فى ذكر الله يضع الذكر عنهم أفعالهم
فيأتون يوم القيامة خفافا) وسنده صحيح

هذا في الاثر الآخر (أكثرُوا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون)

(الثالثة والستون) أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده فانه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله فاذا أخبر بها العبد صدقه ربه . ومن صدقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين ورجى له أن يحشر مع الصادقين .

روى أبو اسحق عن الأعور مسلم (١) أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [إذا قال العبد : لا إله إلا الله والله أكبر قال : يقول الله تبارك وتعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر . وإذا قال لا إله إلا الله وحده قال صدق عبدي لا إله إلا أنا لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال صدق عبدي لا إله إلا أنا إلى الملك ولي الحمد وإذا قال : لا إله لا حول ولا قوة إلا بالله قال صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي] قال أبو اسحق ثم قال الآخر شيئاً لم أفهمه . قلت لأبي جعفر ما قال قال [من رزقن عند موته لم تمسه النار] .

(الرابعة والستون) أن دور الجنة تنبئ بالذكر . فاذا أمسك الذكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء .

ذكر ابن أبي الدنيا في كتابه عن حكيم بن محمد الاخنسي قال [بلغني ان دور الجنة تنبئ بالذكر . فاذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء فيقال لهم فيقولون حتى تأتينا نفقة] .

(١) هو مسلم بن كيسان الأعور روى له النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد حديثاً في فضل سبحان الله والحمد لله والله أكبر ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم - سبع مرات - بنى له برج في الجنة)
وكما أن بناءها بالذكر فغراس بساكنها بالذكر ، كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام (إن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فالذكر غراسها وبنائها) .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال أكثروا من غراس الجنة قالوا يا رسول الله وما غراسها ؟ قال ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله

(الخامسة والستون) أن الذكر سدا بين العبد وبين جهنم . فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال كان الذكر سدا في تلك الطريق فإذا كان ذكرا دائما كاملا كان سدا محكما لا منفذ فيه وإلا فبحسبه

قال عبد العزيز بن أبي رواد كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجدا فجعل في قبيلته سبعة أحجار كان إذا قضى صلاته قال يا أحجار أشهدكم أن لا إله إلا الله قال فرض الرجل فخرج بروحه قال فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى النار قال فرأيت حجرا من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابا من أبواب جهنم ثم أتى بي إلى الباب الآخر وإذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابا من أبواب جهنم ، حتى سدت عني بقية الأحجار أبواب جهنم .

(السادسة والستون) أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب كما روى حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عامر الشعبي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال (أجد في كتاب الله المتزل . أن العبد إذا قال اخذ الله قالت الملائكة رب العالمين ، وإذا قال الحمد لله رب العالمين . قالت الملائكة

اللهم اغفر لعبدك . وإذا قال سبحان الله قالت الملائكة وبحمده ، وإذا قال سبحان الله وبحمده قالت الملائكة اللهم اغفر لعبدك وإذا قال لا إله إلا الله قالت الملائكة اللهم اغفر لعبدك)

(السابعة والستون) أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل عليها .

قال ابن مسعود (إن الجبل لينادى الجبل باسمه أمر بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل ؟ فإذا قال نعم استبسر)

وقال عون بن عبد الله (إن البقاع لينادى بعضها بعضا يا جارتاه أمر بك اليوم أحد يذكر الله ؟ فقائلة نعم وقائلة لا

وقال الأعمش عن مجاهد (إن الجبل لينادى الجبل باسمه يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فن قائل : لا ومن قائل نعم)

(الثامنة والستون) أن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل . قال الله عز وجل في المنافقين (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) وقال كعب (من أكثر ذكر الله عز وجل برى . من النفاق) .

ولهذا والله أعلم ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَوْا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فإن في ذلك تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل ، فوقعوا في النفاق

وسئل بعض الصحابة رضى الله عنهم عن الخوارج منافقون هم ؟ قال لا المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا فهذا من علامة النفاق قلت ذكر الله عز وجل

وكثرة ذكره أمان من التفاق . والله عز وجل أكرم من أن يبتلى قلبا ذا كرا
بالتفاق . وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل

(التاسعة والمستون) أن الذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء فلو لم
يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة بالذكر والنعم الذي يحصل لقلبه لكفى
به ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة :

قال مالك بن دينار [ماتلذة المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل] فليس
شيء من الأعمال أخف مؤنة منه ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجا
للقلب .

(السبعون) أنه يكسوا الوجه نضرة في الدنيا ونورا في الآخرة فالذاكرون
أنضر الناس وجوها في الدنيا وأنورهم في الآخرة .

ومن المراسيل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من قال كل يوم مائة
مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده
الخير وهو على كل شيء قدير : أتى الله تعالى يوم القيامة ووجهه أشد بياضا من
القمر ليلة البدر

(الحادية والسبعون) أن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر
والسفر والبقاع تكثيرا لشهود العبد يوم القيامة فإن البقعة والدار والجبل
والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة قال تعالى (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْمَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآءَ ؟ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا بَأْنَ
رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا)

فروى الترمذي في جامعه من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة قال
قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية [يومئذ تخدث أخبارها] ثم قال أتدرون

ما أخبرارها؟ قالوا . الله ورسوله أعلم . قال [فإن أخبرارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول ، عمل يوم كذا وكذا] قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح

والذاكر لله عز وجل في سائر البقاع أكثر شهوده ولعلمهم أو أكثرهم أن يقبلوا يوم القيامة يوم قيام الأشهاد وأداء الشهادات فيفرح العبد ويغتبط بشهادتهم

(الثانية والسبعون) أن في الاشتغال بالذكر اشتغالا عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك فإن اللسان لا يسكت البتة فاما لسان ذاكر وإما لسان لاغ ولا بد من أحدهما فهى النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله عز وجل سكنه محبة المخلوقين ولا بد وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد فاختر لنفسك إحدى الخطين وأنزلها فى إحدى المنزلتين

(الثالثة والسبعون) وهى التى بدأنا بذكرها وأشرنا إليها إشارة فنذكرها ها هنا مبسطة لعظيم الفائدة بها وحاجة كل أحد بل ضرورة اليها وهى أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه فما ظنك برجل قد احتوشته أعداؤه الحقيقين عليه غيظا وأحاطوا به وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل

وفى هذا الحديث العظيم الشريف القدر الذى ينبغى لكل مسلم أن يحفظه فنذكره بطوله لعموم فائدته وحاجة الخلق إليه

وهو حديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب قال [خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وكنا فى صفة بالمدينة

فقام علينا فقال : إني رأيت البارحة عجبا : رأيت رجلا من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه ، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه ، ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاء وضوؤه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاء ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يتلهم — وفي روايه يلهث — عثشا كلما دنا من حوض منع وطرده فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتي ورأيت النبيين جلوسا حلقا حلقا كلما دنا إلى حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعدته إلى جنبي ورأيت رجلا من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرة فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتي يتقي بيديه وهج النار وشررها فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظللت على رأسه ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه جاءته صلته لرحمه فقالت : يا معشر المسلمين انه كان وصولا لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافوه وصافهم ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جائيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل ورأيت رجلا من أمتي قد ذهب صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه . ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه فجاءه أفراطه (١) فثقلوا ميزانه

(١) لإفراطه جمع فرط والمراد به من مات له من الأطفال .

ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه رجاؤه في الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتي قد أهوى في النار فجاءته دمعته اتى بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يردد كما تردد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراط ويحبوا أحيانا ويتعاق أحيانا فجاءته صلاته على فأقامته على قدميه وأنقذته ورأيت رجلا من أمتي انهمى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله الا الله ففتحت له الابواب وأدخلته الجنة [رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب (الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية) وبني كتابه عليه وجعله شرحا له وقال : هذا حديث حسن جدا رواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آزر، وعلى بن زيد بن جعدان وهلال أبو جبة

وكان شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأن هذا الحديث وبلغني عنه أنه كان يقول : شراهد الصحة عليه

والمقصود منه قوله عليه السلام [ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه] فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة وقوله فيه [وأمركم بذكر الله عز وجل وان مثل ذلك كثير، رجل طلبه العدو فاطلقوا في طلبه سراعا وانطلق حتى أتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله عز وجل]

وفي الترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ [من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله . يقال له كفيت وهديت ووقيت وتنجي عنه الشيطان فيقول لشيطان

آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ؟ [رواه أبو داود واللساني
والترمذى وقال : حديث حسن

وقد تقدم قوله ﷺ] من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وكانت له حوزا
من الشيطان حتى يمسي [

وذكر سفيان عن أبي الزبير عن عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال اذا
خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال
توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله
الا بالله قال الملك حفظت فيقول الشياطين بعضهم لبعض ارجعوا
ليس لكم عليه سبيل كيف لكم بمن كفى وهدى وحفظ ؟

وقال أبو خلد المصري [من دخل في الاسلام دخل في حصن ومن دخل
المسجد فقد دخل في حصين ومن جلس في حلقة يذكر الله عز وجل فيه فقد
دخل في بيته ثلاث حصون]

وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجوني عن
أنس عن النبي ﷺ قال [اذا وضع العبد جنبه على فراشه فقال بسم الله
وقرأ فاتحة الكتاب أمن من سر الجن والانس ومن كل شيء]

وفي صحيح البخارى عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال [ولانى رسول
الله ﷺ زكاة رمضان أن أحتفظ بها فأتانى آت فجعل يحشوا من الطعام
فأخذته فقال دعنى فاقى لا أعود - فذكر الحديث - وقال فقال له فى
الثالثة أعلمك كلمات ينفعك الله بهن إذا أويت الى فراشك فاقرأ آية
الكرسى من أولها الى آخرها فانه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك
شيطان حتى تصبح فبلى سبيله فاصبح فاخبر النبي ﷺ بقوله صدق
وهو كذوب]

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال رسول الله ﷺ [إذا آوى الإنسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول . الملك اختم بخير ويقول الشيطان اختم بشر فاذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه - يعنى النوم - طرد الملك الشيطان وبات يكلؤه فاذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك افتح بخير ويقول الشيطان افتح بشر فان قال الحمد لله الذى أحيا نفسى بعد موتها ولم يمتها فى منامها الحمد لله الذى يمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى الحمد لله الذى يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض باذنه طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه]

وفى الصحيحين من حديث سالم بن أبى الجعد عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ [أما ان أحدكم اذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فيولد بينهما ولد لا يضره الشيطان أبدا]

وذكر الحافظ أبو موسى عن الحسن بن على قال [أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يعصمه الله تعالى من كل شيطان ظالم ومن كل شيطان مرید ومن كل سبع ضار ومن كل لص عاد آية الكرسي وثلاث آيات من من الأعراف (إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) وعشر من الصافات وثلاث آيات من الرحمن (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) وخاتمة سورة الحشر (لَوْ أَنْزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ)

وقال محمد بن أبان ، بينما رجل يصلى فى المسجد - إذا هو بشيء إلى جنبه فجفل منه . فقال ليس عليك منى بأس إنما جئتكم فى الله تعالى ، أمت عروة

فسله ما الذى يتعوذه يعنى من إبليس الأباليس قال قل آمنت بالله العظيم وحده وكفرت بالجبت والطاغوت واعتصمت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى .

وقال بشر بن منصور عن وهيب بن الورد قال خرج رجل إلى الجبابة بعد ساعة من الليل قال فسمعت حسا أو صوتا شديدا وجيء بسرير حتى وضع وجاء شيء حتى جلس عليه قال واجتمعت إليه جنوده ثم صرخ فقال من لى بعروة بن الزبير ؟ فلم يجبه أحد حتى تابع ما شاء الله عز وجل من الأصوات فقال واحد أنا أكفيكم قال فتوجه نحو المدينة وأنا ناظر ثم أوشك الرجعة فقال لا سبيل إلى عروة فقال ويلكم قال وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا نخلص إليه معهن قال الرجل فلما أصبحت قلت لأهلى جهزوني فأتيت المدينة فسألت عنه حتى ذلك عليه فاذا شيخ كبير فقلت أى شيء تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ؟ فأبى أن يخبرنى فاخبرته بما رأيت وما سمعت فقال ما أدرى غير أنى أقول إذا أصبحت آمنت بالله العظيم وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم إذا أصبحت قلت ثلاث مرات وإذا أمسيت قلت ثلاث مرات وذكر أبو موسى عن مسلم البطين (١) قال جبريل للنبي ﷺ ان عفريتاً من الجن يكيدك فاذا أويت إلى فراشك فقل أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ إلى الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن [

(١) هو مسلم بن عمران أو ابن أبى عمران البطين

وقد ثبت في الصحيح أن الشيطان يهرب من الأذان (١).
قال سهل بن صالح أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعى غلام أو صاحب لنا
فنادى مناد من حائط باسمه فأشرف الذي معى على الحائط فلم ير شيئا فذكرت
ذلك لأبي فقال لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ولكن إذا سمعت صوتا
فناد بالصلاة فاني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال ان
الشيطان اذا نودى بالصلاة ولى وله خصاص وفي رواية اذا سمع النداء ولى
وله ضراط حتى لا يسمع التأذين الحديث .

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي بكر الصديق رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استكثروا من لا إله إلا
الله والاستغفار فان الشيطان قال قد أهلككم بالذنوب فاهلكوني بقول
لا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك منهم أهلكتهم بالأهوا حتى
يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون .

وذكر أيضا عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال بينا رجل
مسافر إذ مر برجل نائم ورأى عنده شيطانين فسمع المسافر أحد الشيطانين
يقول لصاحبه اذهب فافسد على هذا النائم قلبه فلما دنا منه رجع إلى صاحبه
فقال لقد نام على آية ما لنا إليه سبيل فذهب إلى النائم فلما دنا منه رجع
فقال صدقت فذهب ثم ان المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين فقال
أخبرني على أى آية نمت قال على هذه الآية (أَنْ رَبُّكُمْ عَلَى السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

(١) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم : [كنت أرى في داري . . . (١) فقيل . يا أبا النضر ، تحول عن جوارنا قال فاشتد ذلك على فكتبت إلى السكوفة إلى أبي إدريس . والمحاري . وأبى أسامة فكتب إلى المحاري أن يثرا بالمدينة كان يقطع رشاؤها . فبذل بهم ركب فشكوا ذلك إليهم ، فدعوا بدلو من ماء ثم تسكمو بهذا الكلام فصبوه في البئر فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر قال أبو النضر فأخذت تورا من ماء ثم تسكمت فيه بهذا الكلام ثم تتبعته به زوايا الدار فرششته ، فصاحوا بي يا أبا النضر أحرقتنا نحن نقول عنك . وهو : بسم الله أمسينا بالله الذي ليس منه شيء . تمتنع وبعزة الله التي لا ترام ولا تضام ، وبسلطان الله المنيع نحتجب بأسمائه الحسنى كلها نعوذ من الأبالسة ومن شر شياطين الإنس والجن . ومن شر كل معلن أو مسر . من شر ما يخرج بالليل ويكن بالنهار ويكن بالليل ويخرج بالنهار . ومن شر ما خلق وذرا وبرأ . ومن شر إبليس وجنوده . ومن شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم . أعوذ بالله بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الذي وفى : من شر ما خلق وذرا وبرأ ومن شر إبليس وجنوده ومن شر ما ينبغي . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفًا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا إن إلهكم لو أحد . رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق إنا زينا السماء الدنيا برينة الكواكب . وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملا الأعلى . ويُفدون من كل جانب . دحورا ولهم عذاب واصب . إلا من خطف الخطفة فأنبأه شهاب فاقب) .

(١) لم يذكر في نسختنا ما رأوه ولكن قوله فقيل يا أبا النضر - يدل على شيء سقط من الكلام . والمفهوم بالقرينة أنه كلم من كان يراهم فقيل له يا أبا النضر الخ

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ : كذلك العبد يحرز نفسه من الشيطان بذكر الله تعالى .

ولنذكر فصولا نافعة تتعلق بالذكر تكميلا للفائدة

(الفصل الأول) الذكر نوعان : أحدهما ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والثناء عليه بهما وتزييه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى . وهذا أيضا نوعان

(أحدهما) انشاء الثناء عليه بها من الذاكِر وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث نحو [سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير] ونحو ذلك

فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو [سبحان الله عدد خلقه] فهذا أفضل من مجرد (سبحان الله) وقولك (الحمد لله عدد ما خلق في السماء) وعدد ما خلق في الأرض وعدد ما بينهما وعدد ما هو خالق أفضل من مجرد قولك - الحمد لله وهذا في حديث جويرية [أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن (١) سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته] رواه مسلم (٢) وفي الترمذي وسنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص [أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة بين يديها نوى أو حصي تسبح بها فقال أخبرك

(١) أي لرجحت بهن في الوزن

(٢) وفي رواية أخرى له [سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه ومداد كلماته] والمراد بمثل مداد كلماته أي أنها لا تنفذ

بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟ فقال : سبحان الله عدد ما خلق في السماء
وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله
عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك . ولا إله إلا الله مثل
ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك [

(النوع الثاني) الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك الله
عز وجل يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم
وهو أرحمهم من آبائهم وأمهاتهم وهو على كل شيء قدير وهو أفرح بتوبة
عبده من الفاقد راحلته (١) ونحو ذلك

وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أنفى على نفسه وبما أنفى به عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل
(وهذا النوع أيضا) ثلاثة أنواع حمد وثناء ومجد فالحمد لله الأخيار عنه
بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته والرضا به . فلا يكون المحب الساكت
حامدا ولا المثنى بلا محبة حامدا حتى يجتمع له المحبة والثناء فان كور المحامد
شيئا بعد شيء كانت ثناء فان كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والمملك
كان مجدا

وقد جمع الله تعالى لعبده الانواع الثلاثة في اول الفاتحة فاذا قال العبد :
(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال الله حمدني عبدي وإذا قال (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)
قال أنى على عبدي وإذا قال (مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ)

(١) أى إذا وجدها وهو معنى حديث رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك
ولفظه الله فرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة

قال مجدى عبدى [١]

(النوع الثانى) من الذكر ذكر أمره ونهيه وأحكامه وهو أيضا نوعان
(أحدهما) ذكره بذلك اخبارا عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا وأحب
كذا وسخط كذا ورضى عن كذا

(والثانى) ذكره عند أمره فيبادر إليه وعند نهيه فيهرب منه فذكر أمره
ونهيته شيء وذكره عند أمره ونهيته شيء آخر فاذا اجتمعت هذه الأنواع للذكر
فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه .

(فائدة) فهذا الذكر من الفقه الأكبر وما دونه أفضل الذكر اذا صحت
فيه النية .

ومن ذكره سبحانه وتعالى ذكره آلائه وأنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله
على عبده وهذا أيضا من أجل أنواع الذكر

فهذه خمسة أنواع : وهى تكون بالقلب . واللسان تارة . وذلك أفضل
الذكر : وبالقلب وحده تارة . وهى الدرجة الثانية وباللسان وحده تارة . وهى
الدرجة الثالثة فأفضل الذكر ما توطأ عليه القلب واللسان

وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب
يشتمل المعرفة ويهيج المحبة . ويشير الحياء ويبعث على الخفاة . ويدعو الى المراقبة
وينزع عن التقصير فى الطاعات والتهانى فى المعاصى والسيئات : وذكر
اللسان وحده لا يوجب شيئا من هذه الآثار وإن أثمر شيئا منها
فثمره ضعيفة .

(الفصل الثانى) الذكر أفضل من الدعاء . الذكر ثناء على الله عز وجل بجميع
أوصافه وآلائه وأسمائه والدعاء سؤال العبد حاجته . فإين هذا من هذا ؟

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة بلفظ [قسمت الصلاة بينى وبين
عبدى ولعبدى ما سئلت] الحديث

ولهذا جاء في الحديث [من شغله ذكرى عن مسالى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين] ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالى والثناء عليه بين يدي حاجته ثم يسأل حاجته . كما في حديث فضالة بن عبيد [أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمدا لله تعالى ولم يصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله ﷺ: يجعل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل والثناء عليه ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يدعو بما شاء . رواه الإمام أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح رواه الحاكم في صحيحه

وهكذا دعا ذى النون عليه السلام الذى قال فيه النبي ﷺ [دعوة أخى ذى النون ما دعاها مكروب إلا فرج الله كربته لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين] وفي الترمذي [دعوة أخى ذى النون إذ دعا وهو في بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب له] (١)

وهكذا عامة الادعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام .
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم دعاء الكرب [إله لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم] (٢)

ومنه حديث بريدة الاسلمى الذى رواه أهل السنين وابن حبان في صحيحه [أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو وهو يقول اللهم إني أسألك بأنى أشهد بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال الذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم

(١) أخرجه الترمذي والامام أحمد والحاكم وابو يعلى وقال صحيح الاسناد عن سعد بن ابى وقاص (٢) رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس

الذى اذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى. (١)

وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس [أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلى (٢) ثم دعا : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم . فقال النبي ﷺ لقد دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى

فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الدعاء يستحب إذا تقدمه هذا الشئ والذكر وإنه اتم الله الأعظم فكان ذكر الله عز وجل والشئ عليه أنجح وأطلب به العبد حوائجه

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والشئ وهى الرابعة والسبعون أنه يحمل الدعاء مستجابا فالدعاء الذى تقدمه الذكر والشئ أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد فان انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته واقتراره واعترافه كان أبلغ فى الإجابة وأفضل فانه يكون قد توسل إلى المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله وعرض بل صرح بشدة حاجة وضرورته وفقره ومسكنته فهذا المقتضى منه وأوصاف المسؤل مقتضى من الله فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤل فى الدعاء وكان أبلغ وألطف موقعا وأتم معرفة وعبودية وأنت ترى فى الشاهد - والله المثل الأعلى أن الرجل اذا توسل إلى من يريد معرفته بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته كان أعطف لقلب المسؤل وأقرب لقضاء حاجته فاذا قال

(١) قال الحافظ المذرى قال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى وإسناده

لامطن فيه ولم يرد فى هذا الباب حديث أجود منه

(٢) هو أبو عياش الزرقى زيد بن الصامت كما رواه أحمد . وكذلك روى

الحديث ابن ماجه وابن حبان

له انت جودك قد سارت به الركبان وفضلك كالشمس لا تنسك - ونحو ذلك - وقد بلغت الحاجة والضرورة مبلغا لا صبر معه - ونحو ذلك كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطني كذا وكذا .

فاذا عرفت هذا فتأمل قول موسى صلى الله عليه وسلم في دعائه :
(رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَزَلْتُ إِلَى مَنْ خَيْرَ فَقِيرٍ) وقول ذى النون صلى الله عليه
وسلم في دعائه (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) وقول
أبينا آدم صلى الله عليه وسلم (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١) .

وفي الصحيحين [أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال يا رسول الله
علمني دعاء أدعوه به في صلاتي فقال قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا
وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت
الغفور الرحيم] .

فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله
والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده وإنه المنفرد بغفران الذنوب
ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأميرين معا فهكذا أدب الدعاء وآداب
العبودية

(الفصل الثالث) قراءة القرآن أفضل من الذكر والذكر أفضل من

الدعاء

هذا من حيث النظر لكل منهما مجردا وقد يعرض للمفضول
ما يجعله أولى من الفاضل بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل
وهذا كالتمسيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن

الآية ٢٣ من سورة الأعراف

فيهما بل القراءة فيهما منهي عنها نهى تحريم أو كراهة (١) وكذلك التسميع والتحميد في محلها أفضل من القراءة وكذلك التشهد وكذلك [رب اغفر لي وارحمني وأهدي وعافني وارزقني] بين السجدة تين أفضل من القراءة ، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة - ذكر الهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل - من الاشتغال عنه بالقراءة وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه لكن لكل مقام مقال متى فات مقالة فيه وعدل عنه إلى غيره اختلت الحكمة وفقدت المصلحة المطلوبة منه وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة اللهم إلى أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن .

مثالة أن يتفكر في ذنوبه فيحدث ذلك له توبة من استغفار أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه .

وكذلك أيضا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيهما وإذا أقبل على سؤالها والدعاء اليها اجتمع قلبه كله على الله تعالى وأحدث له تضرعا وخشوعا وابتهاالا فهذا

(١) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال [يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ألاواني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم] رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود وقوله [قن] أي خليك

قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرا

وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلة العارضة فيعطى كل ذي حق حقه ويوضع كل شيء موضعه فلهذين موضع وللرجال موضع وللنساء موضع وللحم موضع وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي والله تعالى الموفق .

وهكذا الصابون والأشنان أنفع للشوب في وقت والتجمير وماء الورد وكوة (؟) أنفع له في وقت .

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يوما سئل بعض أهل العلم أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال إذا كان الشوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له وإن كان دنسًا فالصابون والماء الحار أنفع له فقال لي رحمه الله تعالى فسكيف والثياب لا تزال دنسة

ومن هذا الباب أن سورة (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن ومع هذا فلا تقوم مقام آيات الموارث والطلاق والخلع والعدد ونحوها . بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الاخلاص ولما كانت الصلاة شتملة على القراءة والذكر والدعاء وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء

فهذا أصل نافع جدا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها لتلا يشتغل . بمفضولها عن فاضلها فيرجح إبليس الفضل الذي بينهما أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها وإن كان ذلك في وقته فنفوته مصلحته بالكلية اظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابا وأعظم أجرا وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها وفقه في اعطاء كل

عمل منها حقه ، وتنزيله في مرتبته ، وتقويته لما هو أهم منه أو تقويت ما هو أولى منه وأفضل لامكان تداركه والعود إليه ، وهذا المفضل إن فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به أولى ، وهذا كنزك القراءة لرد السلام ، وتشميت العاطس ، وإن كان القرآن أفضل لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضل ، والعود إلى الفاضل بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فإنه تقوته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس وهكذا سائر الأعمال إذا تزامت والله تعالى الموفق .

(الفصل الأول)

في الأذكار الموضوفة التي لا ينبغي للعبد أن يغفل بها لشدة الحاجة إليها وعظم الانتفاع في الآجل والعاجل بها وفيه فصول

(الفصل الأول)

في ذكر طربي النهار وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس ، وما بين العصر والغروب .

قال سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (١) والأصيل قال الجوهري هو الوقت بعد العصر إلى المغرب وجمعه (أصل ، وأصال وأصائل) كأنه جمع أصيلة قال الشاعر

لعمرى لانت البيت أكرم أهله * واقعد في أفيائه بالأصائل
ويجمع أيضاً على (أصلان) مثل ، بعير ، وبعران ، ثم صفروا الجمع فقالوا (أصيلان) ثم أبدلوا من النون لا ما فقالوا (أصيلا) قال الشاعر
وقفت فيها أصيلا لأسائلها * أعيت جوابا وما بالربع من أحد
وقال تعالى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) (٢) فالإبكار

(١) سورة الأحزاب آتي (٤١ ، ٤٢) (٢) سورة غافر آية (٥٥)

أول النهار والعشي آخره ، وقال تعالى : (فَصَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) (١) وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث من قال كذا وكذا
حين يصبح وحين يمسى أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وأن محل هذه
الأذكار بعد الصبح وبعد العصر

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : [من قال حين يصبح
وحين يمسى : سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء
به إلا أحد قال : مثل ما قال : أو زاد عليه]

وفي صحيحه أيضا عن ابن مسعود قال : [كان نبي الله صلى الله عليه وآله
وسلم إذا أمسى قال : أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذه
الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها رب
أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر
وإذا أصبح قال ذلك أيضا . أصبحنا وأصبح الملك لله]

وفي السنن عن عبد الله بن حبيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [قل
قلت : يا رسول الله ما أقول ؟ قال : قل هو الله أحد واليهودتين حين تمسى وحين
تصبح ثلاث مرات تسكفك من كل شيء] قال الترمذى : حديث حسن صحيح
وفي الترمذى أيضا عن أنى هريرة [أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم
أصحابه يقول إذا أصبح أحركم فليقل : اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا
وبك نموت وإليك النشور وإذا أمسى فليقل اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك
نحيا وبك نموت وإليك المصير] قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال : [سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة . ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة]

وفي الترمذى عن أبي هريرة [أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرئى بشيء أقواه إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم عالم الغيب والشهادة] فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه وأن تقترف سواه على أنفسنا أو نجره إلى مسلم فله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعى [(١) قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفي الترمذى أيضا عن عثمان بن عفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم - ثلاث مرات - فلا يضره شيء .] قال الترمذى حديث حسن صحيح (٢)

وفيه أيضا عن ثوبان وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [من قال حين يمسى

(١) أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم بدون لفظ [وأن تقترف سوا على أنفسنا ونجره مسلم] قال الخطائى روى (شركة) على وجهين أحدهما بكسر الشين وسكون الراء ومعناه ما يدعو إليه الشيطان ويوسوس به من الإشارك بالله والثانى بفتح الشين والراء يريد حبان الشيطان ومصايد

(٢) ورواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد

وفى رواية لأبى داود [لم تصبه فجاءة بلاء]

وإذا أصبح ، رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه وقال حديث حسن صحيح

وفي الترمذى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال حين يصبح أو يمسي اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك إنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك أعتق الله ربعة من النار فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربعا أعتقه الله من النار (١)

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن غنم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته

وفي السنن وصحيح الحاكم (٢) عن عبد الله بن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتى وآمن روعى اللهم احفظنى من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي قال وكيع يعنى الخسف (٣)

وعن طريق ابن حبيب قال جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال :

(١) ورواه أبو داود وهذا لفظه وأخرجه النسائي وقال الترمذى حديث غريب

(٢) قال النووي بأسانيد صحيحة وعورتي وروعتي بالافراد عند الجميع

وعند ابن أبي شيبه عرأتى وروعاتى بالجمع

(٣) قال وكيع بن الجراح يعنى بالاعتقال من تحت الخسف

يا أبا الدرداء قد احترق بدمك فقال : ما احترق لم يكن الله ليفعل ذلك لشكائكم
سمعتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قالها أول النهار لم تصبه
مصيبة حتى يمسي ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح [اللهم أنت
ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - اعلم أن الله على كل
شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علما اللهم إني أعوذ بك من
شر نفسي ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها إن ربي على صراط
مستقيم] (١).

﴿ الفصل الثاني في أذكار النوم ﴾

في الصحيحين عن حذيفة قال [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد
أن ينام قال باسمك اللهم أموت وأحيا وإذا استيقظ من منامه قال الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا واليه المشور]

وفي الصحيحين أيضا عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه
كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما يقرأ فيهما (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)
و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ثم يمسح بهما
ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك
ثلاث مرات] (٢)

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة [أنه أتاه آت يحثو من الصدقة
وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ليلة بعد ليلة فلما كان في الليلة الثالثة قال
(١) ساقه في نزل الأبرار مختصرا وقال أخرجه ابن السني وأبوداود وموقفا على

أبي الداء وله حكم الرفع

(٢) قال أبو عبيدة الثقفي شبيه بالنفخ وقال الصغاني وهو أقل من الثقل

وهو نفخ معه ريق قليل

لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني أعلك كلمات ينفعك الله
بهن - وكان أحرص شيء على الخير الخير - (١) فقال إذا آويت إلى فراشك
فاقرأ آية الكرسي . الله لا إله إلا هو الحي القيوم . حتى ختمتها فإنه لا يزال
عليك حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت
وهو كذوب]

وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في مسنده أنها جرت لأبي الدرداء
ورواها الطبراني في معجمه أنها جرت لأبي كعب
وفي الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال : د من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه (٢)
الصحيح : أن معناها كفتاه من شر ما يؤذيه وقيل : كفتاه من قيام الليل
وليس بشيء .

قال علي بن أبي طالب كرم الله [وجهه ما كنت أرى أحدا يغفل قبل أن
يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إذا قام أحدكم عن
فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بصنفة (٣) إزاره ثلاث مرات فإنه لا يدرى

(١) هذه جملة معترضة مدرجة من الراوى لتعليل تخليه أبي هريرة
رضي الله عنه سبيله وهي كما في كتاب الوكالة من البخارى بلفظ وكانوا
يعنى الصحابة وموقعها بعد قوله : (ولا يقربك شيطان) والقصة هنا
ملخصة بالمعنى .

(٢) المراد بهما آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه إلى آخر السورة
(٣) لفظ الصحيحين (إذا آوى أحدكم إلى فراشه بداخلة إزاره فإنه
لا يدرى) الخ وفي كتاب التوحيد من البخارى عنه (إذا جاء أحدكم إلى
فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات وليقل الخ) صنفة الإزار - بفتح
(٩ - وابل)

ما خلفه عليه بعده ، وإذا اضطجع فليقل : باسمك اللهم ربى وضعت جنى وبك أرفعه ، فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين] .

وفي الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [إذا استيقظ أحدكم قليقل : الحمد لله الذى عافانى فى جسدى ، ورد على روحى ، وأذن لى بذكره] (١) .

وقد تقدم حديث على ووصية النبي ﷺ له ولفاطمة رضى الله تعالى عنهم [أن يسبحا إذا أخذوا مضاجعهما للنوم ثلاثا وثلاثين ويحمدا ثلاثا وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين وقال هو خير لكما من خادم] (٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعاينه من شغل وغيره

وفي سنن أبي داود ، والترمذى عن حفصة أم المؤمنين [أن النبي صلى الله وآله وسلم كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك] ثلاث مرات ، قال الترمذى حديث حسن (٣) وفي صحيح مسلم عن أنس [أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الصاد وكسر النون - طرفه بما يلى طرفه أو هى الجانب الذى لا هذب له وفى وفى رواية مسلم] فليأخذ داخلته إزاره فلينفذ بها فراشه وليسم الله فانه لا يعلم ماخلفه على فراشه]

(١) ذكر فى نزل الأبرار أن هذا الحديث زيادة للترمذى عما رواه البخارى ، ومسلم من حديث أبي هريرة المتقدم

(٢) رواه البخارى ، ومسلم وأبو داود والنسائى عن على رضى الله عنه

(٣) وأخرجه الترمذى أيضا من حديث حذيفة وقال صحيح حسن ومن

حديث البراء ولم يذكر فيه ثلاث مرات

كان إذا آوى إلى فراشه قال : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم
من لا كافي له ولا مؤوى [(١)]

وفى صحيحه أيضا عن ابن عمر . انه أمر رجلا إذا اتخذ مضجعه أن يقول اللهم
أنت خلقت نفسى وأنت تتوفأها (٢) لك مآتها ومحياتها ان أحيتها فاحفظها
وإن أمتها فاغفر لها اللهم إني أسألك العافية فقال رجل سمعت من عمر قال من
خير من عمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وفى الترمذى عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
[من قال حين يأوى إلى فراشه استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم
وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت
هدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا (٣)]

وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة [أن النبى ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه
قال اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل
شئ فائق الحب والنوى منزل التورات والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر
كل ذى شر أخذ بمناصيته أنت الأول فليس قبلك وأنت الآخر فليس بعدك
شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا
الدين واغننا من الفقر] .

وفى الصحيحين عن البراء بن عازب قال : قال لى رسول الله ﷺ [إذا أتيت
مضجك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم
أسلبت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمري إليك وأجألت
ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا متجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتبك

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح

(٢) إشارة الى قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس) الآية

(٣) العالج ماتراكم من الرمل

الذى أنزلت وبنيك الذى أرسلت فان مت من ليلتك فانت على الفطرة واجعلهن
آخر ما تتكلم به [(١)]

﴿ الفصل الثالث فى أذكار الافتباء من النوم ﴾

روى البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال : [من تعار (٢) من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير . الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا
الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفرلى أو دعاستجيب
له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته] (٣)

وفى الترمذى (٤) عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يقول [من أوى الى فراشه طاهرا وذكر الله تعالى حتى
يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيرا الا أعطاه إياه]
حديث حسن

وفى سنن أبى داود عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان اذا استيقظ من الليل قال لا إله إلا أنت سبحانك اللهم استغفرك لذنبى

(١) وفى رواية [قال يعنى البراء فرددتها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فلما بلغت آمنت بكتابك الذى أنزلت قلت ورسولك . قال لا وبنيك الذى
أرسلت]

(٢) تعار [استيقظ من النوم مع كلام وقيل تمطى

(٣) قال النووى فى الأذكار هكذا ضبطناه فى أصل سماعنا المحقق فى
النسخ المعتمدة من البخارى وسقط قول لا إله إلا الله قبل والله أكبر فى
كثير من النسخ ولم يذكره الحميدى أيضا فى الجمع بين الصحيحين وثبت هذا
اللفظ فى رواية الترمذى وغيره وسقط فى رواية أبى داود

(٤) عزاه النووى فى الأذكار الى ابن السنن

وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك
رحمة انك أنت الوهاب] (١).

(الفصل الرابع في أذكار الفزع والأرق في النوم والفكر)
روى الترمذى عن بريدة قال : [شكا خالد بن الوليد الى النبي ﷺ فقال :
يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق فقال النبي ﷺ : إذا أويت الى فراشك
فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الارضين وما أقلت ورب
الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على أحد
ممنهم أو أن يبغي على عز جارك وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ولا إله إلا
أنت] (٢)

وفى الترمذى عن عبد الله بن عمرو [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يعلمهم من الفزع كلمات أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عباده ومن
همزات الشياطين وأن يحضرون] وكان عبد الله بن عمر ويعلمهم أن عقل من بنيه ومن
لم يعقل كتبته وعلقه عليه (٣)

(١) قال النورى فى الأذكار إسناده لم يضعف اه ورواه الترمذى وابن حبان
والنسائى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وصححه ابن حبان
(٢) قال فى الأذكار : باسناد ضعيف وضعفه أيضا الترمذى وعزاه المنذرى
فى الترغيب والترهيب الى الطبرانى فى الكبير والاوسط وقال وإسناده جيد
ألا أن عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من خالد بن الوليد . ورواه الترمذى
باسناد ضعيف ورواية الطبرانى فيها [عز جارك وتبارك اسمك] وليس فيها
[وجل ثناؤك] الخ .

(٣) قال الترمذى حسن غريب . وعزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب
الى أبى داود والنسائى والحاكم

(الفصل الخامس في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها)

في الصحيحين عن أبي قتادة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول [الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم الشيء يكرهه فليستغفر عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ وليتعوذ بالله من الشيطان فإنها لن تضره إن شاء الله] .

قال أبو قتادة : كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول [الرؤيا الصالحة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب وإذا رأى ما يكرهه فلا يحدث به وليتغفل عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر ما رأى فإنها لا تضره] (١)

وفي صحيح مسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ قال : [إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليصم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه] (٢)

ويذكر عن النبي ﷺ [أن رجلا قص عليه رؤيا فقال خيرا رأيت وخيرا يكون]

(١) قال في نزل الأبرار حديث أبي سلمة في الصحيحين وغيرهما قال [لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول وأنا كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب وإذا رأى ما يكره فليستغفر بالله من شرها وشر الشيطان ولتغفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فإنها لا تضره]

(٢) وعزاه المنذرى إلى مسلم . وأبي داود . والنسائي وابن ماجه وفيه [وليتحول عن مكانه الذي كان عليه]

وفي رواية [خيرا تلقاه وشرأ توقاه خيرا لنا وشرأ على أعدائنا والحمد لله رب العالمين] (١)

(الفصل السادس في اذكار الخروج من المنزل)

في السنن عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ [من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان فيقول لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ؟] .

وفي مسند الإمام أحمد عن أنس [بسم الله آمنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله] حديث حسن .

وفي السنن الأربع عن سلمة قالت [ماخرج رسول الله ﷺ من بيتي إلا رفع طرفه إلى السماء فقال اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجمل أو يجهل علي] قال الترمذي حديث حسن صحيح

(الفصل السابع في أذكار دخول المنزل)

في صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول [إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت فاذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء .

وفي سنن أبي داود عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله ﷺ [إذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم إني أسألك خير المواجه وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهله وفي الترمذي عن أنس قال [قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قال في نزل الأبرار أخرجه ابن السني .

يأبى إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك [قال الترمذى حديث حسن صحيح .

﴿ الفصل الثامن فى اذكار دخول المسجد والخروج منه ﴾

فى صحيح مسلم عن أبى حميد أو أبى أسيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذا دخل أحدكم إلى مسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل [اللهم افتح لى أبواب رحمتك] وإذا خرج فليقل [اللهم إني أسألك من فضلك] (١) .

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم (٢)

﴿ الفصل التاسع فى اذكار الآذان ﴾

فى الصحيحين عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن] .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول [إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعباد الله وأرجو ان أكون أنا هو فن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة] .

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر قال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم

(١) قال النووى فى الأذكار ليس فى رواية مسلم [فليسلم على النبي ﷺ] وهو فى رواية أبى داود النسائى وابن ماجه وأسانيدهم كلها صحيحة
(٢) قال النووى فى الأذكار حديث حسن بإسناد جيد .

قال أشهد أن لا إله إلا الله قال أشهد أن لا إله إلا الله . ثم قال أسعد أن محمداً رسول الله قال أشهد أن محمداً رسول الله ثم قال حى على الصلاة قال لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال حى على الفلاح قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر . ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة [(١)] .

وفى صحيح البخارى عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : [من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته - حلت له شفاعتى يوم القيامة] (٢)

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو قال : [يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا فقال رسول الله ﷺ قل كما يقولون فإذا انتهيت فسل تعطه] (٣) وفى الترمذى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة قالوا فإذا نقول يا رسول الله ؟ قال سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة] قال الترمذى حديث حسن صحيح (٤)

(١) وأخرجه البخارى أيضاً وأبو داود والنسائى

(٢) ورواه مسلم وفيه [حلت عليه] فتكون اللام هنا بمعنى على كما قال الحافظ فى الفتح وراه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى فى سننه الكبرى وزاد [إنك لا تخلف الميعاد] قال فى الفتح قال الطيبى المراد بذلك قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال ابن الجوزى والأكثر على أن المقام محمود الشفاعة .

(٣) ورواه النسائى وابن حبان فى صحيحه وقال [تعط] بدون هاء الذى فى جامع الترمذى المطبوع فى الهند أنه قال حديث أنس حسن ولم يقل صحيح وعزاه فى الجامع الصغير إلى أحمد . وأبى داود والترمذى والنسائى وابن حبان ، وعلم عليه بالصحة .

وفي سنن أبي داود عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ [ثلاثة لا تردان أو قلما تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا] (١)

وفي سنن أبي داود عن أم سلمة قالت علني رسول الله ﷺ أن أقول عند المغرب اللهم هذا لإقبال ليلك وإدبار نهارك واصوات دعائك وحضور صلواتك فاغفر لي ،

وفي سنن أبي داود عن بعض اصحاب النبي ﷺ ان بلا لا أخذ في الإقامة فلما ان قال قد قامت الصلاة قال النبي ﷺ أقامها الله وأدامها ، (٢)

فهذه خمس سنن في الآذان [إجابته وقول] رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا [وسؤال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم الوسيلة والفضيلة والصلاة عليه ﷺ والدعاء لنفسه بما شاء

عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ قال من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا غفر الله له ذنوبه ، (٣)

الفصل العاشر في أذكار الاستفتاح

في الصحيحين أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاحه اللهم باعد بيني وبين

(١) ديلحم ، بالخاء المهملة أى حين يلتصق بعضهم ببعض في الحرب
(٢) رواه أبو داود عن رجل من أهل الشام عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة أو عن بعض اصحاب النبي ﷺ قال المنذرى في إسناده رجل مجهول وشهر بن حوشب تكلم فيه غير واحد ووثقه الإمام أحمد ويحيى ابن معين اه وقال البيهقي هذا إن صح شاهد لما استحسنه الشافعي رحمه الله من قولهم ، اللهم أقمها وأدامها واجعلنا من صالح أهلها عملا

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

خطايى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم تقنى من خطايى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلنى بالماء والثلج والبرد ، (١)
وفى سنن أبى داود عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى عليه وآله وسلم يصلى صلاة قال [الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا (ثلاثا) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، من فقحه ونقشه وهمزه قال نقشه الشعر ونقحه الكبر وهمزه الموتة] (٢)

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسكت بين التكبير وبين القراءة سكتة قال : أحسبه هنية فقلت ، بأبى وأمى أنت يا رسول الله فى سكتتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟ قال : أقول اللهم باعد الخ] وهذه الالفاظ كناية عن محو الذنوب ورفع أثرها قال فى شرح العدة وهذا الحديث أصح الأحاديث الواردة فى التوجه وكل ما صح من التوجهات كان مجزئا ولا وجه للقول بأنه لا يجزئ إلا واحدا منها معين كما يقول بعض أهل العلم ولكن ينبغى العدول إلى الأصح وإن كان غيره من الصحيح مجزئا اه وقال النووى فى الأذكار وجاء فى الباب أحاديث أخر منها حديث عائشة [كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك الخ] رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه بأسانيد ضعيفة وضعفه أبو داود والترمذى والبيهقى وغيرهم ورواه أصحاب السنن الأربعة عن أبى سعيد قال الترمذى هذا حديث لا نعرفه إلا عن حارثة . وقد تكلم فيه غير واحد من قبل حفظه وقال البيهقى روى عن أنس وابن مسعود مرفوعا وكلها ضعيفة وأصح ما روى فيه عن عمر موقوفا

(٢) هى بواو ساكنة غير مهموزة - الجنون قال الصغاني فى العباب سمي الشعر نقشا لأنه كالشئ . ينفث من الفم كالرقية وسمى الكبر نفخا لما يوسوس إليه الشيطان فى نفسه ليعظما عنده ويحقن الناس فى عينه حتى يدخله الزهو وهمزات الشياطين خطراتها التى تخطر بها بقلب الانسان

وفي السنن الأربعة عن عائشة . وأبي سعيد وغيرهما [أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استفتح الصلاة قال : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك] وهو في صحيح مسلم عن عمر موقوفا عليه .

وفي صحيح مسلم (١) عن علي بن أبي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة قال [وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض خنيقا وما أنا من المشركين * إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وما أنا من المسلمين . اللهم أنت لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت . ليبيك وسعديك . والخير كله في يديك والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك - وكان إذا ركع يقول في ركوعه - اللهم ركعت ، وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ، ونفسي وعظمي وعصبي وإذا رفع رأسه من الركوع يقول سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ، إذا سجد يقول في سجوده . اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني إنك أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت] (٢)

(١) ورواه أيضا الشافعي وأحمد وأصحاب السنن وغيرهم مختصرا ومطولا

(٢) ورواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن

وفي صحيح مسلم عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل اللهم رب جبريل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك إقيما كانوا فيه يختلفون أهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم وفي الصحيحين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام (١) السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنت وبك خاصمت وإليك حاكمت إفاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك

(الفصل الحادى عشر)

(فى ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدين)

فى السنن الأربعة عن حذيفة رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إذا ركع سبحان ربى العظيم ثلاث مرات وإذا سجد قال سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات وفيه حديث هلى رضى الله تعالى عنه وقد سبق فى الفصل قبله بطوله .

صحيح وابن حبان وزاد بعد قوله حنيفا مسلما وقد جاء فى روايات أن هذا الحديث فى صلاة مكتوبة وفى بعضها مقيدا بصلاة الليل وفى بعضها مطلقا (١) قال أبو عبيد : القيوم القائم على كل شىء أى المدبر أمر خلقه وفيه لغات قيوم وقيام وقيم وانفط الموطن أنت قيام السموات والأرض

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي (١)

وفي صحيح مسلم عنها رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك قدوس رب الملائكة والروح (٢)

وفي سنن أبي داود عن عوف بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ

(١) في البخارى في آخره يتأول القرآن قال الحافظ في الفتح : أى يفعل ما أمر به فيه وقد تبين من رواية الأعمش أن المراد بالقرآن بعضه وهو السورة المذكورة أى سورة إذا جاء نصر الله ووقع في رواية ابن السكن عن الفريرى قال أبو عبد الله يعنى قوله تعالى (فسبح بحمد ربك واستغفره) قال ابن دقيق العيد يؤخذ من هذا الحديث إباحة الدعاء في الركوع وإباحة التسبيح في السجود ولا يعارضه قوله صلى الله عليه وآله وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء أخرجه مسلم وأبو داود وفيه فقمين ان يستجاب لكم اه باختصار وروى احمد وابو داود وابن ماجه من حديث عقبة بن عامر قال لما نزلت (فسبح اسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال اجعلوها في سجودكم ، وأخرج أبو داود والترمذى من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال (إذا ركع أحدكم فقال في ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاث مرات وذلك أدناه فقد تم ركوعه وإذا سجد فقال في سجوده سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات وذلك أدناه فقد تم سجوده)

(٢) أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر

كان يقول في ركوعه وسجوده سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة [وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد رضى الله عنه قال] كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال [اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك الجد] (١)

وفي صحيح البخارى عن رفاع بن رافع رضى الله عنه قال [كنا نصلى يوماً وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده فقال رجل من ورائه ربنا ولك الحمد أكره كثيراً طيباً مباركاً فيه فلما انصرف قال من المتكلم ؟ قال أنا يا رسول الله قال [لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولى] (٢)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه [أن رسول الله ﷺ قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء] وعنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده [اللهم اغفر لى ذنبى كله دقة وجله أوله وآخره وعلايته وسره]

وقالت عائشة رضى الله عنها [افترقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فالتسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول [اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك

(١) أى لا ينفع ذا الحظ والغنى والجاه من قوتك وقدرتك وسطوتك غناه وجاهه

(٢) وأخرجه أبو داود والنسائى وأخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أنس بن مالك [أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا - الحديث

منك لا أحصى ثناء عليه أنت كما أثنيت على نفسك] روى مسلم هذه الأحاديث
وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول
الله ﷺ يقول بين السجدين اللهم اغفرلى وارحمنى واهمدنى واجبرنى
وعافنى وارزقنى].

وفي السنن أيضا عن حذيفة رضى الله تعالى عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ كان
يقول بين السجدين [رب اغفرلى رب اغفرلى] (١)

﴿الفصل الثانى عشر﴾

﴿فى أدعية الصلاة بعد التشهد﴾

فى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
[إذا فرغ أحدكم من التشهد فليتعوذ بالله من أربع من عذاب القبر ومن عذاب
جهنم . ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال].

وفيهما أيضا عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يدعو فى الصلاة
[اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ
بك من فتنة المحيا والممات . اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم (١) فقال قائل
ما أكثر ما تستعين من المغرم ؟ فقال : إن الرجل إذا غرم حدث فكذب
ووعده فاخلف].

(١) وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أنس قال [رأيت رسول الله ﷺ
يصلى بنا وكان إذا رفع رأسه من الركوع انتصب قائما حتى يقول الناس قد
نسى] وكذلك فى الرفع من السجود

(٢) المأثم ما يوجب الإثم والمغرم الدين وفتنة المحيا ما يعرض الإنسان
طول حياه من فتن الدنيا وفتنة الممات عند الموت أو فى القبر والمسيح
بالحاء المهملة بظهر على يده أمور يضل بها من ضعف إيمانه كما جاء ذلك فى
أحاديث كثيرة صحيحة وقوله صلى الله عليه وسلم [فليتعوذ] بلام الامر

وقد تقدم في الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال لرسول الله ﷺ [علينى دعاء أدعو به فى صلاتى فقال : قل اللهم إنى ظلت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت . فاعف عني مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم] .

وفى صحيح مسلم من حديث على رضى الله عنه فى صفة صلاة رسول الله ﷺ وقد تقدم بطوله فى الفصل العاشر .

وفى سنن أبى داود أن النبى ﷺ قال لرجل [كيف تقول فى الصلاة قال أتشهد وأقول اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما أنى لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبى صلى الله عليه وسلم حولها فدندن] .

وفى المسند والسنن عن شداد بن أوس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول فى صلاته [اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر

يدل على أن ذلك الدعاء واجب بعد التشهد وقد جاء فى حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم - كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن وقال فى آخره [ثم ليتمخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو] أخرجه البخارى ومسلم وفيه أمر المصلى أن يدعو الله فى آخر صلاته بأحب الأشياء إليه من أمور الدنيا والآخرة ويطيل فى ذلك أو يقصر حسب حاجته وقد روى عن ابن عمر أنه قال [إنى لأدعو الله فى صلاتى حتى لشعير حمارى وملح يلقى] وعن عروة بن الزبير مثله وكان على رضى الله عنه يقنت على قوم يسميهم بأسمائهم فى صلاته وكان أبو الدرداء يدعو لسبعين رجلا فى صلاته ويقول إنى لأدعوك لسبعين أخا من أخوتى أسميهم بأسمائهم وكان ابن الزبير يدعو للزبير فى صلاته وكان أحمد بن حنبل يدعو للشافعى فى صلاته وبعد صلاته اه من نزل الأبرار .

والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما
ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما
تعلم أنك أنت علام الغيوب .

وفي سنن النسائي أن عمار بن ياسر صلى صلاة ودعا فيها بدعوات وقال
سمعتن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [اللهم بعلمك الغيب]
وقدرتك على الخلق أحيني إذا علمت الحياة خيرا لي ووتني إذا علمت الوفاة
خيرا لي اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق
في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد
وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد
العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك
من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة
مقيدين .

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

﴿ في الأذكار المشروعة بعد السلام وهو إدبار السجود ﴾

في صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال [كان رسول الله ﷺ إذا
انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام
تباركت يا ذا الجلال والإكرام] (١)

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبه [أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ
من الصلاة قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجند
منك الجند

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنها [أن
رسول الله ﷺ كان يهمل دبر كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات

(١) ورواه أحمد وأصحاب السنن

لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل
وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : [من سبح الله في
دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وقال
تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير غفرت خطاياہ وان كانت مثل زبد البحر]

وفي السنن عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال [خصلتان أو خلتان لا
يحافظ عليهما عبد مسلم الا دخل الجنة هما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله
في دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبره عشرا فذلك خمسون ومائة باللسان
وألف وخمسمائة في الميزان ويكبره أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثاً
وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف في الميزان قال ولقد رأيت رسول الله صلى الله
ويسبح ثلاثاً عليه وسلم يعقدها بيده قالوا :

يا رسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل قال يأتي أحدكم - يعني الشيطان -
في منامه فينومه قبل أن يقولها ويأتيه في صلاته فيذكره حاجته قبل أن يقولها .
وفي السنن عن عقبة بن عامر قال أمرني رسول الله ﷺ أن قرأ بالمعوذتين
دبر كل صلاة .

وفي النسائي الكبير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم [من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت
يعنى لم يكن بينه وبين دخول الجنة الا الموت

﴿ الفصل الرابع عشر في ذكر التشهد ﴾

في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : [عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
التشهد وكفى بين كفية كما يعلمني السورة من القرآن التحميت لله والصلوات

والطيبات والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
والصالحين أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله [١].

(١) روى البخارى . وأبو داود عن عبد الله بن مسعود قال [كنا اذا صلينا
خلف النبي ﷺ وفي رواية أبي داود : كنا اذا جلسنا في الصلاة مع النبي ﷺ —
قلنا السلام على الله السلام على جبريل وميكائيل . السلام على فلان وفلان فالتفت
اليها رسول الله ﷺ فقال . ان الله هو السلام . فاذا صلى أحدكم فليقل التحيات
لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلمتموها أصاب كل عبد الله صالح في السماء
والارض . أشهد لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله] قال الحافظ في
الفتح (التحيات) جمع تحية ومعناها السلام . وقيل البقاء وقيل العظمة وقيل :
السلامة من الآفات والنقص . وقيل الملك . وقال أبو سعيد الضرير ليست التحية
الملك نفسه . لكنها السلام الذي يحياه الملك . وقال ابن قتيبة لم يكن يحيا الا الملك
خاصة وكان لكل ملك تحية تخصه فلهذا جمعت فكان المعنى التحيات التي كانوا
يسلمون بها على الملوك كلها مستحقة لله وقال الخطابي ثم البغوى ولم يكن في
تحياتهم شيء يصلح للثناء على الله فلهذا أبهت ألفاظها واستعمل منها معنى التعظيم
فقال قولوا التحيات لله أى أنواع التعظيم له . قال الترمذى حديث ابن مسعود
روى عنه من غير وجه وهو أصح حديث روى في التشهد والعمل عليه عند أكثر
أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم . قال وذهب الشافعى إلى حديث ابن عباس في
التشهد وقال البزار لما سئل عن أصح حديث في التشهد — هو عندى حديث ابن
مسعود وروى من نيف وعشرين طريقا ثم سردا أكثرها . وقال لأعلم في التشهد
أثبت منه ولا أصلح أسانيد ولا أشهر رجلا اهو الا اختلاف بين أهل
الحديث في ذلك ومن جزم بذلك البغوى في شر السنة ومن مرجحاته أنه

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله]

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أن النبي ﷺ عليهم التشهد [التحيات الطيبات والصلوات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله]

وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ في التشهد [التحيات لله الصلوات الطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله]

متفق عليه دون غيره وأن الرواة عنه من الثقات لم يختلفوا في ألفاظه بخلاف غيره وإنه تلقاه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلقيناً فروى الطحاوى من طريق الأسود بن يزيد عنه قال [أخذت التشهد من رسول الله ولقننيه كلمة كلمة ولاحمد من حديث ابن مسعود] أن رسول الله علمه التشهد وأمره أن يعلمه الناس [ولم ينقل ذلك لغيره ففيه دليل على أنه]

(فائدة) قال القفال في فتاويه ترك الصلاة يضر بجميع المسلمين لأن المصلى يقول اللهم اغفر لى وللمؤمنين والمؤمنات ولا بد أن يقول في التشهد [السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين] فيكون مقصراً في خدمة الله وفي حق رسول الله وفي حق نفسه وفي حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المصيبة بتركها واستنبت منه السبكي أن في الصلاة حقاً للاباء مع حق الله وأن من تركها أدخل بحق جميع المؤمنين من مضى ومن يجيء إلى يوم القيامة لوجوب قوله فيها [السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين] اهـ (ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٥) باختصار

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب [أما بعد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان في وسط الصلاة أو حين انقضائها فابدؤا قبل السلام فقولوا التحيات والصوات الملك لله ثم سلوا على النبي ثم على قارئكم وعلى أنفسكم] . وذكر مالك في الموطأ أن عمر كان يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول [قولوا التحيات لله الزاكيات لله الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله] فأى تشهد أتى به من هذه الشهادات أجزأه . وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلى تشهد ابن مسعود وذهب الشافعي (١) إلى تشهد ابن عباس وذهب مالك إلى تشهد عمر رضي الله عنه والكل كاف بجزى .

(الفصل الخامس عشر في ذكر الصلاة على النبي ﷺ) (٢)

في الصحيحين عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال [خرج علينا رسول

(١) قال الشافعي - بعد أن أخرج حديث ابن عباس - رويت أحاديث في التشهد مختلفة وكان هذا أحب إلى لأنه أكملها وقال في موضع آخر - وقد سئل عن اختياره تشهد ابن عباس - لما رأيت واسعا وسمعت عن ابن عباس صحيحا كان عندي أجمع وأكثر لفظا من غيره وأخذت به غير معترف لمن يأخذ بغيره بما صح .

(٢) ألف الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى كتابا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكمها وألفاظها وفضلها ومعناها أسماء جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام وهو من أنفس الكتب وأجلها وقريبا مدشرح بطبعه إن شاء الله تعالى . أقام الأدلة الكثيرة القوية على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة في التشهد الأول

الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد [وفي الصحيحين أيضا عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا] يا رسول الله ، كيف نصلي عليك ؟ قال . قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال [أنا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله . كيف نصلي عليك ؟ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم] (١) وذكر ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن مسعود قال (إذا صليت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأحسنوا الصلاة فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له فعلنا . قال قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما يغبطه به الأولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد [

والثاني فارجع إليه فإن فيه خيرا عظيما وعلمنا كثيرا
(١) قوله (في العالمين) ليس في رواية مسلم والكتبه في رواية أبي داود

الفصل السادس عشر في الاستخارة (١)

في صحيح البخاري عن جابر قال [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسمى حاجته - خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به] .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [من سعادة ابن آدم استخارة الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله . ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله] .

(١) الاستخارة طلب اختيار الخير ممن يعلمه ويقدر عليه وذلك لا يكون على حقيقته إلا من الله سبحانه وتعالى والحديث في ألفاظه ومعانيه يدل على تفويض العبد كل التفويض لله تعالى وخالص توكله عليه وعظيم ثقته به وأنه يتخلى عن شأنه كله لله تعالى لأنه هو العالم القادر على كل شيء وهذا هو لب الإيمان وحقيقة التوحيد أما ما يصنعه الجهال والدجالون من العد على حبات السبحة أو التبييت بالليل ليرى في منامة شيئاً فذلك بعيد عن الإيمان والتوكل على الله ومناف لما أوصى به رسول الله ﷺ أصحابه والمؤمنين به فهو بدعة سيئة بل ربما كان في بعض الأوقات منافياً للتوحيد الخالص والتوكل على الله وإن زعم من يعمل تلك الاستخارات المبتدعة أنه من الصالحين بل وإن رأى في منامة ما تلاعب به الشيطان وأوهمه أن ذلك نتيجة هذا التبييت

وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه يقول ما ندم من استخار الخالق
وشاور المخلوقين وثبت في أمره وقد قال سبحانه وتعالى
(١٥٩.٣) وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله (وقال قتادة
ما شاور قوم يبتغون وجه الله إلى هدوا إلى أرشد أمرهم

﴿ الفصل السابع عشر ﴾

(في أذكار الكرب والغم والحزن والهم)

في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
عند الكرب [لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا
إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم] .
وفي الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
كان إذا حزبه أمر قال [يا حي يا قيوم برحمتك استغيث]
وفيه أيضا عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أهمله
الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال سبحانه الله العظيم وإذا اجتمع في الدعاء قال
يا حي يا قيوم .

وفي سنن أبي داود عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
[دعوات المسكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح
لى شأنى كله لا إله إلا أنت]

وفي السنن أيضا عن أسماء بنت عميس قالت قال لى رسول الله ﷺ [ألا
أعلمك كلمات تقولهن عند الكرب - أو فى الكرب ؟ الله الله ربى لا أشرك
به شيئا]

وفى رواية أنها تقول سبع مرات

وفى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله ﷺ [دعوة
ذى النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت

من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له] ،
وفي رواية له [إني أعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه كلمة
أخي يونس عليه السلام] .

وفي مسند الامام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ، ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك
ابن عبدك ابن أمك فاصفني بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من
خلقتك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور
بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزقه وأبدله
مكانه فرحا] (١)

(الفصل الثامن عشر)

(في الاذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والاذى)

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح عليه السلام (٧١ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) فقلت
اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَشِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَمَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَاراً) .

وفي بعض المسانيد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب] .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في التمهيد له حديثا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) ساقه في نزل الايراد من كتاب ابن السني من حديث أبي موسى ثم
ذكره من حديث مسعود . وقال رواه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والنزار ورجال
أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح وصححه الحاكم .

[من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبدا] (١) .

الفصل التاسع عشر

(في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف سلطانا وغيره)

في سنن أبي داود والنسائي عن أبي موسى [ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال : اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم] .

ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول : عند لقاء العدو [اللهم أنت عسدي وأنت ناصري وبك أقاتل]

وعنه صلى الله عليه وسلم [انه كان في غزوة فقال : يا مالك يوم الدين إياك أعبد وإياك أستهين] قال أنس [فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خفها] (٢) .

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في اول تفسير الواقعة : قال قال بن الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعود فساقه بسنده أن عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه فقال : [ما تشتهي ؟ فقال : ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي . قال . ألا آمرلك بطبيب ؟ قال الطبيب أمرضني قال ألا آمرلك بعطاء ؟ قال لا حاجة لي فيه . قال يكون لبنائك من بعدك . قال أتخشى على بناتي الفقر ؟ أني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا] ثم ساق له طريقين آخرين .

قال في نزل الابرار رواه ابن السني وفي ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه انه خرج مرة مع السلطان في غزو الكفار فلما تراءى الجمعان قال السلطان يا خالد بن الوليد كأنه تفاعل بهذا اللفظ المفتوح . فصرخ للشيخ ابن تيمية عليه وقال قل . اياك نعبد وإياك نستعين فقاهلها فأنهم العدو . وكان النصر للسلطان

وعن ابن عمر قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إذا خفت سلطانا
أو غيره فقل لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع
ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك (١) .

وفي صحيح البخارى عن ابن عباس قال [حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم
صلى الله عليه وسلم حين أُلقي في النار وقها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له
الناس (إن الناس قد جمعوا لكم فاحشواهم)

(الفصل العشرون في الأذكار التي تطرد الشيطان)

قد تقدم أن من قرأ آية الكرسي عند نومه لم يقربه شيطان . وأن من قرأ
الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه ومن قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كانت له حرزا من
الشيطان في يومه كله

وقد قال تعالى (٢٣ ، ٩٧ ، ٩٨) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ
وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ)

وكان النبي ﷺ يقول [أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من
همزه ونفخه ونفثه] .

وقال سبحانه وتعالى (٤١ ، ٣٩) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

والأذان يطرد الشيطان كما تقدم

وعن زيد بن أسلم أنه ولي معان فذكروا كثرة الجن فأمرهم أن يؤذنوا
كل وقت ويكثروا من ذلك فلم يكونوا يرون بعد ذلك شيئا
وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضى الله عنه أنه قال [يا رسول الله

(١) قال في نزل الأبرار رواه ابن السني

أن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتمعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فأذهب به الله عز وجل عني ،

وأمر ابن عباس رجلا وجد في نفسه شيئا من الوسوسة والشك أن يقرأ (٣٥٧ هو الأول والآخِرُ والظَّاهِرُ والْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومن أعظم ما يندفع به شره قراءة المعوذتين وأول الصافات وآخر الحشر .

الفصل الحادى والعشرون

في الذكر الذى يحفظ به النعم وما يقال عند تجردها

قال الله سبحانه وتعالى في قصة الرجلين (وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) .

فينبغي لمن دخل بستانه أو داره أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة فإن لا يرى فيه سوا

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ومال وولد فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيها آفة دون الموت ، (١)

وعنه صلى الله عليه وسلم [أنه كان إذا رأى ما يسره قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى ما يسوءه قال الحمد لله على كل حال]
(الفصل الثانى والعشرون فى الذكر عند المصيبة)

قال الله تعالى (٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧) وَيَسِّرْ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ .

(١) قال فى نزل الأبرار رواه ابن السنى

ويذكر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ليسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شئ نعله فانها من المصائب] (١)

وقالت أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم آجرني في مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره الله تعالى فى مصيبتيه وأخلف له خير منها قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ فأخلف الله لى خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) وروى أيضا عنها رضى الله عنها قالت (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال ان الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال اللهم اغفر لآبى سلمة وارفع درجته فى المهدين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه (٣) ؟

(١) ذكره صديق حسن خان عن كتاب ابن السنى . ثم قال قال فى الأذكار الشيع بكسر الشين ثم تاسكان السين المهملة أحد سيور النعل التى أشد به إلى زمامها

(٢) انفرد بروايته مسلم وأم سلمة اسمها هند كانت وزوجها أبو سلمة من السابقين الاولين والمهاجرين الصادقين رضى الله عنهم أجمعين

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه قال النووى فى الأذكار شق بفتح الشين وضم الرءاء من بصره هكذا الرواية فيه باتفاق الحفاظ وأهل الضبط قال صاحب الأفعال يقال شق بصر الميت وشق الميت بصره إذا شخص

(الفصل الثالث والعشرون)

(فى الذكر الذى يدفع به الدين ويرجى قضاؤه)

فى الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه [أن مكاتبا جماعه ، فقال : إلى عجزت عن كتابتى فأعنى ، فقال ألا أعلمك كلمات علمنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كان علمك مثل جبل صبر ديننا إلا أداه الله عنك ؟ قل اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك] قال الترمذى حديث حسن (١)

(الفصل الرابع والعشرون)

(فى الذكر الذى يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما)

فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما ويقول انى أباكما إبراهيم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة] (٢)

وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه [أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رقى لديغا بفاتحة الكتاب ، فجعل يعقل عليه

(١) ورواه أيضا الحاكم فى المستدرک وصححه [وجبل صبر] بفتح الصاد

المهملة وكسر الموحدة - جبل بالين مشهور

(٢) قال فى نزل الأبرار قال العلماء الهامة بتشديد الميم وهى كل ذات سم كالحية وغيرها والجمع الهوام قالوا وقد يقع الهوام على ما يدب من الحيوان وإن لم يقتل كالخشرات ومنه حديث كعب بن عجرة [أيؤذيك هوام رأسك] أى القمل ؟ وأما العين اللامة فهى بتشديد الميم وهى التى تصيب ما نظرت إليه بسوء

ويقْرَأُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به
قلبية - الحديث [(١)]

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا
اشتكى الإنسان الشيء أو كانت قرحة به أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم
بأصبعه هكذا - ووضع سفيان بن عتيبة أصبعه بالأرض ثم رفعها - وقال :
بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ويشفي به سقيمنا بإذن ربنا [(٢)]

وفي الصحيحين أيضا عنهما رضى الله عنهما [أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ
بعض أهله : يمسح بيده اليمنى ويقول : اللهم رب الناس اذهب الباس واشف
وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغار سقما] [(٣)]

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضى الله عنه [أنه شك إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضع
يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله - ثلاثا - وقل سبع مرات

(١) ورواه أصحاب السنن الأربع وفي رواية للترمذى [فقرأت عليه
(الحمد لله رب العالمين) سبع مرات] وفي رواية له وللنسائي . وابن ماجه أن
أبا سعيد هو الذى رقاها والدبيع الذى لدغته الحية أو العقرب وأصابته بسهما
والقلبية بفتح القاف واللام والباء : الوجع : قال الفراء : معناه ليست به علة
يخشى منها عليه . وهو مأخوذ من قولهم : قلب الرجل إذا أصابه وجع فى قلبه
ليس يكاد يفلت منه

(٢) قال النووي : قال العلماء [بريقة بعضنا] أى ببصافه .

(٣) ورواه البخارى من حديث أنس وأخرجه أحمد والنسائي من حديث
محمد بن حاطب أنه احترقت يده فذهبت به أمه إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحديث

أعوذ بعمرة الله وقدرته من شر ما أجد وما أحاذر [(١)]
 وفي السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [من
 عامر مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
 أن يشفيك ويعافيك إلا عافاه الله تعالى]
 وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : [من اشتكى منكم أو اشتكاه أخ له فليقل . ربنا الله الذي في السماء تقدس
 اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا
 حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا
 الوجع فيبرأ] (٢)

(الفصل الخامس والعشرون في ذكر دخول المقابر)
 في صحيح مسلم عن بريدة قال [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم
 إذا خرجوا من المقابر أن يقول قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين
 وإن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية] (٣)
 وفي سنن ابن ماجه عن عائشة [أنها فقدت النبي ﷺ . فإذا هو بالبقيع .

(١) ورواه أصحاب السنن الأربع ومالك . وابن أبي شيبة وزاد النسائي
 [فاذهب الله ما كان في فلم أزل أمر به أهلي وغيرهم]
 (٢) أخرجه أبو داود في باب كيف الرقي حدثنا يزيد بن موهب الرمي أخبرنا
 الليث عن زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء
 قال المنذرى وأخرجه النسائي من حديث محمد بن كعب عن أبي الدرداء ولم يذكر
 فضالة بن عبيد استناده زياد بن محمد الأنصاري قال أبو حاتم الراوي هو منكر الحديث
 وقال ابن حبان منكر الحديث جداً المنكير عن المشاهير فاستحق الترك اه
 (٣) ورواه النسائي وابن ماجه وزادا [أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع]

فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فرط وإنما بكم لاحقون [اللهم لا تحرمتنا أجرهم ولا تقمتنا بعدهم] (١)

﴿ الفصل السادس والعشرون في ذكر الاستسقاء ﴾

قال تعالى (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا)

(١٠ و ١١ - سورة نوح)

عن جابر بن عبد الله قال : أتت النبي ﷺ بواك فقال [اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريثا مريعا نافعا غير ضار عاجلا غير آجل فأطبقت عليهم السماء] (٢)
وعن عائشة [شكوا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بدا حاجب الشمس . فقعده على المنبر [فكبر وحمد الله عز وجل ثم قال إنكم تشكوتون جذب دياركم واستشخار المطر عن إبان زمانه عنكم وقد أمركم الله سبحانه وتعالى أن تدعوه ووعدهم أن يستجيب لكم ثم قال (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ : مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ) لا إله إلا الله بفعل ما يريد اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغا إلى حين ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض أبيه ثم حول إلى الناس ظهره وقلب - أو حول - رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس فنزل فصلى ركعتين فأنشأ الله عز وجل سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن الله تعالى فلم يأت مسجده حتى سألت السيول فلما رأى سرعتهم إلى السكن ضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت

(١) ورواه ابن السني وفيه [ولا تضلنا بعدهم]

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم و[بواك] جمع باكية

نواجهه . وقال : أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وإنى عبد الله ورسوله [(١)]
وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استسقى قال [اللهم أسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت]

وقال الشعبي [خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار ، فقالوا ما رأيناك استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بمجاديع السماء الذى يستنزلون به المطر ثم قرأ
(اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يرسل السماء عليكم مدراراً) سورة نوح
(وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى)
الآية سورة هود (٢)]

(الفصل السابع والعشرون فى أذكار الرب إذا هاجت)
قال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب

(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح . وقال فى آخر هذا حديث غريب إسناده جيد . وأخرجه أيضاً ابن حبان وأبو عوانة والحاكم وصححه ابن السكن . وحاجب الشمس . ضوءها أو ناصيتها . وأبان بكسر الهمزة وتشديد الباء . وقتة . والسكن — ما يكتم الإنسان ويحتجب فيه من بيت ونحوه .

(٢) ذكر هذا الأثر عن عمران بن جرير وابن كثير وقال ابن جرير وقرأ الآية فى سورة هود حتى بلغ [ويزدكم قوة إلى قوتكم] وذكر الزخشرى فى كشفه فى تفسير سورة نوح وقال الحفاظ بن حجر فى تخرىج أحاديث الكشف رواه عبد الرزاق وابن أبى شبة والطبرانى فى الدعاء ورجاله ثقات إلا أنه منقطع اهـ . والمجاديع واحداً مجدح . والياء زائدة للشباع . وهو نجم من النجوم . وقيل هو ثلاثة كالأنافى تشبهاً بالمجدح الذى له فى ثلاث شعب وهو عند العرب من الأنوار الدالة على المطر . فجعل عمر رضى الله عنه الاستغفار مشبهاً بالأنوار . مخاطبة لهم بما يعرفونه

من روح الله تعالى ، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوها
وسلووا الله خيرها واستمعينوا بالله من شرها [رواه أبو داود (١)]
وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت [كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا
عصفت الريح قال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وما أرسلت به وأعوذ
بك من شرها وشر ما أرسلت به]

وفي سنن أبي داود عن عائشة أيضا رضى الله عنها [أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان إذا رأى ناسئا في أفق السماء ترك العمل - وإن كان في صلاة - ثم يقول
اللهم إني أعوذ بك من شرها - فإن مطرت - قال اللهم صيبا هنيئا] (٢)

﴿ الفصل الثامن والعشرون في الذكر عند الرعد ﴾

كان عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال
(سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خفيته) (٣)

وعن كعب أنه قال [من قال ذلك ثلاثا عوفي من ذلك الرعد]

وفي الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم [كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم
لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك] (٤)

﴿ الفصل التاسع والعشرون في الذكر عند نزول الغيث ﴾

في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله

(١) ورواه ابن ماجه وإسنادهما حسن والنسائي والحاكم وابن حبان وصحاحه

(٢) ورواه النسائي وابن ماجه والنسائي السحاب لم يتكامل اجتماعه والصيب

المطر الكثير

(٣) سورة الرعد إلا أن لفظ الآية (ويسبح) بالواو وهذا الأثر قال النووي

رويناه في موطن مالك بالاستناد الصحيح

(٤) قال النووي . إسناده ضعيف

عليه وآله وسلم صلاة الصبح بالحديبية (١) في إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا . الله ورسوله أعلم قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي ومؤمن بالكواكب .

وقد قيل : إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب


وفي صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ [كان إذا رأى المطر قال : صليبا نافعا] وفي صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال [أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر . فقلنا يا رسول الله لم صنعت هذا ؟ قال لأنه حديث عهد بربه .]


(الفصل الثلاثون)

(في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها)

في الصحيحين عن أنس قال [دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخاطب الناس فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال [اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا] قال أنس والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بنيان ولا دار فطاعت من وراءه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فلا والله ما رأينا الشمس سبتا ثم دخل رجلا من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخاطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها عنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم . قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون

(١) هى قرية قريبة من مكة دون مرحلة وبها كان الصالح المشهور سميبت بيتر فيها وهى مخفية وكثير من المحدثين يشددونها وفى إثر سماء أى عقب مطر

الأودية ومنايات الشجر قال فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس [(١)]
 الفصل الحادي والثلاثون في الذكر عند رؤية الهلال 
 عن عبد الله بن عمر قال [كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال الله أكبر اللهم أهله علينا بالآمن والإيمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله] (٢)

وفي سنن أبي داود عن قتادة أنه بلغه أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد آمنت بالله الذي خلقك - ثلاث مرات - ثم يقول الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا [(٣)]
 الفصل الثاني والثلاثون في الذكر للصائم وعند فطره 
 عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم رواه الترمذي وقال حديث حسن

وروى ابن ماجه عن ابن أبي مليكة عن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد] (٤)

(١) القرعة قطعاً من الغيم وجمعها قزع وطلع جبل في المدينة وقوله سبتاً أي أسبوعاً من السبت إلى السبت وقيل مدة من الزمان والأكام جمع أكمة - بفتح الهززة - التراب المجتمع أو الهضبة الضخمة أو ما ارتفع من الأرض والظراب جمع ظرب - بكسر الراء وتسكين - الجبل المنبسط الذي ليس بالعالى
 (٢) رواه الطبراني قال في مجمع الزوائد وفي إسناده عثمان بن إبراهيم الحاطي وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات

رواه أبو داود مرسلًا وفي بعض نسخ سنن أبي داود ليس في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث صحيح .
 (٤) رواه ابن ماجه عن عبد الله بن أبي مليكة عن عمرو بن العاص وأخرجه الحاكم في المستدرک عن ابن عمرو

قال ابن أبي مليكة سمعت عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا أفطر يقول
[اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي]
ويذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا أفطر قال [اللهم
لك صمت وعلى رزقك أفطرت] (١)
ومن وجه آخر [اللهم لك صمتنا وعلى رزقك أفطرتنا فتقبل منا إنك أنت
السميع العليم] (٢).

(الفصل الثالث والثلاثون في أذكار السفر)

روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين
يركعهما عندهم حين يريد سفرا.
وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : من أراد سفرا فليقل لمن يخاف . أستودعكم الله الذي
لا تضيع ودائعه
وفي المسند أيضا عن عمر عن النبي ﷺ قال : [إن الله إذا استودع
شيئا حفظه].

وقال سالم : كان ابن عمر يقول للرجل إذا أراد سفرا : أدن مني أودعك كما
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يودعنا فيقول : [استودع الله دينك
وأمانتك وخواتيم عملك]

ومن وجه آخر [كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا ودع رجلا أخذ بيده
فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع النبي ﷺ] - وذكر تمام الحديث -
قال الترمذي حديث حسن صحيح

وقال أنس رضي الله عنه [جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) رواه أبو داود مرسلا عن معاذ بن ذهرة ورواه ابن السني أيضا بلفظ
آخر نحو هذا

(١) رواه ابن السني عن ابن عباس

فقال : يا رسول الله أريد سفرا فزودني فقال . زدك الله التقوى قال زدني قال : وغفر ذنبك قال : زدني قال ويسر لك الخير حيثما كنت [قال الترمذي

حديث حسن

وعن أبي هريرة أن رجلا قال . يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصي قال [عليك بتقوى الله عز وجل والتكبير على كل شرف فلما ولى الرجل قال اللهم أطوله البعد (١) وهون عليه السفر] قال الترمذي حديث حسن

(الفصل الرابع والثلاثون في ركوب الدابة والذكر عنده)

قال علي بن ربيعة [شهدت علي بن أبي طالب رضى الله عنه أتى بدابة ليركبها . فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) سورة الزخرف آيتي ١٣ ، ١٤ ثم قال ، الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر - ثلاث مرات - ثم قال سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقبل يا أمير المؤمنين من أى شيء ضحكتم ؟ فقال رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك فقلت يا رسول الله من أى شيء ضحكتم ؟ فقال إن ربك سبحانه وتعالى يعجب من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري] (٢) رواه أهل السنن وصححه الترمذي

وفي صحيح مسلم ن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى

(١) الشرف المكان المرتفع وقوله أطاوى قريب

(٢) قوله يعلم الخ الذي في الترمذي هنا [أنه لا يغفر الذنوب غيرك]

اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل وإذا رجعت قاهن وزاد فيهن : آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون [وفي وجه آخر (١)] وكان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إذا علوا الثنايا كبروا وإذا هبطوا سبحوا]

﴿ الفصل الخامس والثلاثون في ذكر الرجوع من السفر ﴾

قال عبد الله بن عمر [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو اعتمر يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده] رواه البخاري ومسلم .

﴿ الفصل السادس والثلاثون ﴾

في الذكر على الدابة إذا استعصبت

قال يونس بن عبيد (٦) ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها [أَغْيِرْ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ ؟ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ] إلا وقعت باذن الله تعالى .

قال شيخنا قدس الله روحه وقد فعلنا ذلك فكان كذلك

﴿ الفصل السابع والثلاثون ﴾

في الدابة إذا انقلبت وما يذكر عند ذلك

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(١) أي بمن رواية أبي داود عن ابن عمر . وفي آخره [فوضعت الصلاة

على ذلك] (٢) قال النووي في الإذكار روي في كتابات ابن السني عن السيد

[إذا انقلبت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا
فإن لله عز وجل حاضرا سيحبسه] (١).

﴿الفصل الثامن والثلاثون﴾

(في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها)

عن صهيب رضى الله عنه [أن النبي ﷺ لم يرقية يريد دخولها إلا قال -
حين يراها - : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما
أقلن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية
وخير أهلها وخير ما فيها . وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها]
رواه النسائي

﴿الفصل التاسع والثلاثون في ذكر المنزل يريد نزوله﴾

قالت خولة بنت حكيم رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول من نزل
منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل
من منزله ذلك [رواه مسلم .

وعن عبد الله بن عمر قال [كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض
ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب
عليك وأعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن
والد وما ولد] رواه أبو داود

﴿الفصل الأربعون في ذكر الطعام والشراب﴾

قال سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا
لَهُ إِنَّ كُفْرَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ بِهِ إِنَّهُ) سورة البقرة

الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه ونزاهته أبي عبد الله يوسف
ابن عبيد بن دينار البصري رحمه الله
(١) رواه ابن السني والبخاري وأبو يعلى . والطبراني واسناده ضعيف

وقال عمر بن أبي سلمة رضى الله عنه [كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت يدى تطيش فى الصفحة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام سم الله تعالى ، وكل بيمينك وكل بما يليك ، متفق عليه .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : قال رسول الله ﷺ [إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى فى أوله . فإن نسى أن يذكر اسم الله تعالى فى أوله فليقل بسم الله أوله وآخره] قال الترمذى حديث حسن (١) .

وقال أمية بن محبب رضى الله عنه [كان رسول الله ﷺ جالسا ورجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق منه طعامه إلا لقيمة فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله أوله وآخره فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله تعالى استغف ما فى بطنه] رواه أبو داود (١)

وقال رسول الله ﷺ [إن الله يرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها] رواه مسلم فى صحيحه من حديث أنس رضى الله عنه

وقال أبو هريرة [ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه] متفق عليه

وعن وحشى [أن ناسا قالوا يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال ولعلكم تفترون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه] رواه أبو داود

وعن معاذ رضى الله عنه قل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل

(١) ورواه أبو داود وهذا انظره

(٢) رواه أحمد والنسائى والحاكم وصححه وقال الدارقطنى لم يستند أمية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير هذا الحديث

أو شرب فقال لله الذى أطعنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ، قال الترمذى حديث حسن (١)
وعن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذى أطعمننا وسقانا وجعلنا مسلمين ورواه أبو داود والترمذى

وذكر النسائى عن عبد الرحمن بن جبير التابعى رجل خدّم النبى ﷺ ثمانين سنين أنه كان يسمع النبى ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول بسم الله وإذا فرغ من طعامه قال اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأفديت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت

وفى صحيح البخارى عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رفع مائدته قال الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكثى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا

(الفصل الحادى والأربعون فى ذكر الضيف إذا نزل بقوم)

عن عبد الله بن بسر قال [قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى فقربنا إليه طعاما ووطبة (٢) فأكل منها ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقى النوى بين أصبعيه ويجمع السبابة والوسطى - قال شعبة هو ظنى وهو

(١) ورواه أبو داود أيضا

(٢) قوله ووطبة - إلى قوله ادع لنا - سقط من النسخة الهندية فلم يبق منه إلا قوله ثم أتى بشراب فقال أبى فادع . وليس فيه أنه شرب ولا أنه أكل عندهم فلا يعقل أن يكون المؤلف هو الذى اختصره هذا الاختصار المحل المضيق للمعنى والوطبة الخيس يجمع التمر البرنى والاقط المدقوق والسمن وفى وفى بعض نسخ مسلم (رطبة) بالراء بدل الواو وجمهور الرواة على الأول

فيه إن شاء الله القاء النوى (١) ثم أتى بشراب فشربه ثم ناوله الذي عن يمينه قال فقال أنى - وأخذ بلباس دابته - : ادع الله تعالى فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم وأغفر لهم وارحمهم [رواه مسلم]

وعن أنس [أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عبادَةَ فجاء بخبز وبزيت فأكل ثم قال النبي ﷺ أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة] [رواه أبو داود]

وعن جابر قال [صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم طعاما فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فلما فرغوا قال اثبيو أخاكم قالوا يارسول الله وما اثابته ؟ قال إن الرجل إذا دخل بيته فأكل طعامه وشرابه دعوا له فذلك اثابته] [رواه أبو داود]

(الفصل الثاني والأربعون في السلام)

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما [أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أى الإسلام خيرا ؟ قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف] [متفق عليه .]

وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ [لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشروا السلام بينكم] [رواه أبو داود .]

وقال عمار بن ياسر رضى الله عنهما [ثلاث من جهمن جمع الإيمان الانصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والاتفاق من الاقتار] ذكره البخارى .

وقال عمران بن حصين [جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال السلام عليكم

(١) معناه أن شعبة راوى الحديث قال الذى أظنه ان القاء النوى مذکور فى الحديث وقد جزم بهذا فى الرواية الأخرى فكأنه تذكر ما كان مترددا فيه

فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون [(١)] قال الترمذى حديث حسن

وعن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ [أن أولى الناس بالله من بدأ بالسلام] قال الترمذى حديث حسن

وخرج أبو داود عن علي بن رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال [يحزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم] وقال أنس [مر النبي صلى الله عليه وسلم على صبيان يلعون فسلم عليهم] حديث صحيح .

وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ [إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة] (الفصل الثالث والأربعون في الذكر عند العطاس)

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ [إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان على كل من سمعه أن يقول بركم الله وأما التثاؤب فإما هو من الشيطان فإذا تشأب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تشأب ضحك الشيطان منه] رواه البخارى

وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال [إذا عطس أحدكم فليقل اخذ الله وليقل له أخوه أو صاحبه بركم الله فإذا قال له بركم

(١) رواه الدارمى فى مسنده وأبو داود والترمذى وقال حسن غريب من هذا الوجه وزاد أبو داود [وجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فقال أربعون قال هكذا تكون الفضائل] ومعناه أن الأول كتب له عشر حسنات والثاني عشرون وهكذا

الله فليقل يديكم الله ويصلح بالكم [رواه البخارى .
 وفى لفظ أبى داود] الحمد لله على كل حال
 وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول [إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته فان لم يحمد الله فلا
 تشمته] (١)

(الفصل الرابع والأربعون)

(فى ذكر النكاح والتهنئة به وذكر الدخول بالزوجة)

قال ابن مسعود علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة الحاجة
 الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا
 مضل له ومن يضل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
 عبده ورسوله [وفى رواية زيادة] أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة
 [من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصمها فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله
 شيئا (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ)
 سورة آل عمران (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
 رَقِيبًا) ٣ سورة النساء (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
 يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)
 الأحزاب رواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذى حديث حسن
 وعن أبى هريرة [أن النبى ﷺ كان إذا رفا الإنسان إذا تزوج قال
 بارك الله لك وبارك عليك وجمع - بينكما فى خير] قال الترمذى حديث
 حسن صحيح

رواه مسلم والنهى لتهنئته

وهن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه . وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه . وإذا اشترى بهيرا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك . رواه أبو داود .

وفي الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال ان أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا . ففقد بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا .

(الفصل الخامس والأربعون — في الذكر هند الولادة والذكر المتعلق بالولد)
يذكر أن فاطمة رضي الله عنها لما دنا ولادها أمر النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرأ عليهما آية الكرسي و (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض) الأعراف إلى آخر الآيتين وتعوذانها بالمعوذتين .

وقال أبو رافع رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة قال الترمذي حديث حسن صحيح

ويذكر عن الحسين بن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من ولد له مولود فأذن في أذنه النبي وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان] (١)

وقالت عائشة [كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤتي بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم] رواه أبو داود

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتسمية المولود يوم سابعه ووضع الأذى عنه والعق قال الترمذي حديث حسن وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم (٢) وإبراهيم بن أبي موسى (٣)

(١) رواه ابن السني (٢) أخرجه مسلم (٣) أخرجه البخاري
ومسلم عن أبي موسى الأشعري وكان إبراهيم هذا أكبر ولد أبي موسى

وعبد الله بن أبي طلحة (١) والمنذر بن أسيد (٢) قريبا من ولادتهم
وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ [إنكم تدعون يوم القيامة
بأسمائكم فاحسنوا أسمائكم] ذكره أبو داود

وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
[إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن]

وعن أبي وهيب الجشمي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ تسموا بأسماء
الأنبياء [وإن أحب الأسماء إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث
وهمام وأقبحها حرب ومرة] رواه أبو داود والنسائي

وغير النبي ﷺ الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة فغير اسم برة إلى زينب (٣)
وغير اسم حزن إلى سهل (٤) وغير اسم عاصية فسمها جميلة (٥) وغير اسم اصرم إلى
زرعة (٦) وسمى حربا سلوا وسمى المضطجع المنبعث وسمى أرضا يقال لها عفرة خضرة
وشعب الضلالة سماه شعب الهدى وبنو الزنية سماهم بني الرشدة (٧)

(الفصل السادس والأربعون في صياح الديكة والتهيق والنباح)

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال : [إذا سمعتم نهيق الحمير فتعوزوا بالله من الشيطان فإنها رأت

(١) أخرجه الشيخان عن أنس

(٢) رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وفي مسلم عن ابن عباس أن
جويرية كان اسمها برة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم

(٤) رواه البخاري عن سعيد بن المسيب بن حزن عن أبيه أن أباه جاء إلى
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسمك ؟ قال حزن فقال أنت سهل

(٥) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر (٦) رواه أبو داود عن أسامة ابن
أخدرى (٧) رواها أبو داود كلها وقال تركت أسانيدھا للاختصار

شيطانا وإذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأّت مسلّا [وفي سنن أبي داود عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم] إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوزوا بالله منهن فانهم يرين ما لا ترون [رواه أبو داود

(الفصل السابع والأربعون في الذكر يطفأ به الحريق)

يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه] (١)

(الفصل الثامن والأربعون في كفارة المجلس)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك] قال الترمذي حديث حسن صحيح

وفي حديث آخر [أنه إن كان في مجلس خير كان كالطابع له وإن كان في مجلس تخليط كان كفارة له] (٢)

وفي السنن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة]

وعن ابن عمر قال فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه [اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مضار الدنيا . اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا

(١) أخرجه ابن السني وروى أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ [اطفئوا الحريق بالتكبير] وفي إسناده راو لم يسم (٢) رواه ابن أبي الدنيا والنسائي والبيهقي والحاكم عن عائشة .

واجعله الوارث منا . واجعل ثأرنا على من ظلمنا . وانصرنا على من عادانا .
ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا
تساط علينا من لم يرحمنا [قال الترمذى حديث حسن :

(الفصل التاسع والأربعون فيما يقال ويفعل عند الغضب)

قال الله سبحانه وتعالى : وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (سورة الأعراف آية (٢٠٠) وفصلت آية (٣٦) .

وقال سليمان صرد : كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان
يستبان أحدهما قد احمر وجهه واتفخت أوداجه فقال للنبي ﷺ إني لأعلم
كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ،
متفق عليه :

وعن عطية بن عروة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن
الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا
غضب أحدكم فليغمض » رواه أبو داود وفي حديث آخر أنه أمر من غضب
إن كان قائما أن يجلس وإن كان جالسا فليضطجع [

الفصل الخمسون فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من رأى
مبتلى فقال الحمد لله الذى عافانى بما ابتلاك به وفضلانى على كثير من خلقك تفضيلا
لم يصبه ذلك البلاء] قال الترمذى حديث حسن

(الفصل الحادى والخمسون فى الذكر عند دخول السوق)

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك
وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير ،
كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له

ألف ألف درجة [رواه الترمذى (١)]

وعن بريدة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل السوق قال : (بسم الله - اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب بها يمينا فاجرة أو صفة خاسرة [(٢)]

(الفصل الثانى والخمسون فى الرجل إذا خدرت رجله)

عن الهيثم بن حبش قال [كنا عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خدرت رجله فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك فقال محمدا فكاثما نشط من عقال وعن مجاهد رحمه الله قال [خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضى الله عنهما فقال اذكر أحب الناس إليك فقال محمد ﷺ فذهب خدره (٣)]

(الفصل الثالث والخمسون فى الدابة إذا عثرت)

عن أبي المليح عن رجل قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعثرت دابته فقلت تعس الشيطان فقال : لا تقل تعس الشيطان فانك إذا قلت ذلك تعاطم حتى يكون مثل البيت ويقول بقوق ولكن قل بسم الله فانك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب [(٤)]

(الفصل الرابع والخمسون)

(فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقه فدعا له ماذا يقول ؟)

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت [أهديت لرسول الله ﷺ شاة فقال

(١) وقال حديث غريب وقال شارح العدة أقل أحواله أن يكون حسنا وإن كان فى ذكر العدد على هذه الصفحة نكارة

(٢) رواه الطبرانى والحاكم وقال النووى هو أقربها من شروط هذا الباب

(٣) أخرجهما ابن السنى وقال شارح العدة وليس فى ذلك ما يفيد أن لهذا

حكم الرفع فقد يكون مرجع هذا التجريب (٤) رواه أبو داود

اقتسمها وكانت عائشة رضى الله عنها إذا رجعت الخادم تقول ما قالوا نقول الخادم . قالوا بارك الله فيكم تقول عائشة رضى الله عنها وفيهم بارك الله ترد عليهم مثل ما قالوا ويبقى أجرنا لنا (١) وقد روى عنها في اصدقة مثل ذلك

(الفصل الخامس والخمسون فيمن أميط عنه أذى)

عن أنى أيوب رضى الله عنه [أنه تناول من لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح الله عنك يا أبا أيوب ما تكره] وفى لفظ آخر [لا يكن بك سوء . يا أبا أيوب] (٢)
وعن عمر رضى الله عنه أنه أخذ عن رجل شيئاً فقال الرجل [صرف الله عنك السوء فقال عمر رضى الله عنه صرف الله عنا السوء منذ أسلمنا واسكن إذا أخذ عنك شيئاً فقل أخذت يدك خيراً] (٣)

(الفصل السادس والخمسون فى رؤية باكورة الثمرة)

قال أبو هريرة رضى الله عنه [كان الناس إذا رأوا الثمر جاؤا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا أخذه قال اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا ثم يعطيه أصغره من يحضره من الولدان] رواه مسلم

(الفصل السابع والخمسون)

(فى الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين)

قال الله سبحانه وتعالى (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله - سورة الكهف آية ٣٩)

(١) أخرجه ابن السنى

(٢) رواهما ابن السنى . والثانى رواه عن سعد أن أبا أيوب وفيه أنه كررها ثلاثا

(٣) أخرجه ابن السنى

وقال النبي ﷺ [العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين]
حديث صحيح (١).

ويذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال [إذا رأى أحدكم
ما يعجبه في نفسه أو ماله فليبرك عليه فإن العين حق] (٢)
ويذكر عنه ﷺ أنه قال من رأى شيئاً فأعجبه فليقل : ماشاء الله لا قوة
إلا بالله لم يضره [(٣) .
ويذكر عنه ﷺ فيمن خاف أن يصيب شيئاً بعينه قال [اللهم بارك لنا
فيه ولا تضره] (٤)

وقال أبو سعيد [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من الجان
وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما] قال
الترمذي حديث حسن رواه ابن ماجه في سننه

(الفصل الثامن والخمسون في الفال والطيرة)

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم [لا عدوى ولا طيرة أصدقها الفال
قيل وما الفال ؟ قال الكلمة الحسنة يسميها الرجل]
وكان النبي ﷺ يعجبه الفال كما كان في سفر الهجرة فلقمهم رجل فقال ما اسمك
قال بريدة . قال برد أمرنا]

وقال النبي ﷺ [رأيت في منامي كافي في دار عقبة بن رافع وأتينا من رطب
ابن طاب فأولتها الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة لنا في الآخرة وإن ديننا قد طاب
وأما الطيرة فقال معاوية ابن الحكم [قلت يا رسول الله منا رجال

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) أخرجه ابن السني عن سهل بن حنيف

(٣) أخرجه ابن السني عن أنس

(٤) رواه ابن السني عن سعيد بن حكيم

يتطهرون . قال : ذلك شيء تجدونه في صدوركم فلا يحدنكم [وهذه الأحاديث في الصحيح]

وعن عقبة بن عامر قال [سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الطيرة فقال : أصدقها الفأل . ولا ترد مسلما . وإذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسينات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله] (١)

(الفصل التاسع والخمسون في الحمام)

يذكر عن أبي هريرة أنه قال [نعم البيت اتخام يدخله المسلم . إذا دخله سأل الله الجنة وأمنته ما ذبه من النار] (٢)

(الفصل الستون في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه)

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال [كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل الخلاء قال اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث] وزاد سعيد بن منصور [بسم الله]

وفي مسند الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن هذه الحشوش محتضرة . فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث]

وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال [لا يمجز أحدكم إذا دخل موقعه أن يقول اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم]

وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ستر

(١) أخرجه مسلم وابن السنن عن عقبة بن عامر

(٢) أخرجه ابن السنن بسند ضعيف مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال

في نزل الأبرار وفي النفس من هذا الحديث شيء

ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول : بسم الله [وقالت عائشة] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من النائط قال : غفرانك [رواه الإمام أحمد وأهل السنن

وفي سنن ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه قال [كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني]
(الفصل الحادى والستون فى الذكر عند إرادة الوضوء)

ثبت فى النسائى عنه صلى الله عليه وسلم أنه وضع يده فى الجفنة (١) وقال [توضأ بسم الله]

وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه فى حديثه الطويل - وفيه - يا جابر ، ناد بوضوء فقلت : ألا وضوء ؟ ألا وضوء ؟ - وفيه - فقال خذ يا جابر فصب على ، وقل : بسم الله . فصببت عليه . وقلت : بسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى المسند والسنن من حديث سعد بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم [لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه] قال البخارى : هذا أحسن شىء فى هذا الباب وعن أبى هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه] رواه الإمام أحمد وأبو داود وفى المسند عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم [لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه]

(الفصل الثانى والستون فى الذكر بعد الفراغ من الوضوء)

روى مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : [ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ، أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا

فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء [وزاد فيه الترمذى بعد ذكر الشهادتين] اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين .

وفى بعض طرقه ذكرها أبو داود ، والإمام أحمد [فأحسن الوضوء ثم ثم رفع نظره إلى السماء فقال - وذكره]

وفى اللفظ الامام أحمد [من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله] .
وفى سنن النسائي عن أبي سعيد الخدري قال [من توضأ ففرغ من وضوئه قال سبحانك اللهم أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك طبع عليها بطابع ثم رفعت تحت العرش فلم تسكر إلى يوم القيامة] هكذا رواه من قول أبي سعيد رضى الله عنه .

وأما الأذكار التى يقولها العامة على الوضوء عند كل عضو فلا أصل لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة الأربعة وفيها حديث كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

﴿ الفصل الثالث والستون فى ذكر صلاة الجنائزة ﴾

فى صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال [صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة لحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وازمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجته ، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر] قال حتى تمت أن أكون أنا ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) قال النووي رحمه الله فى الأذكار . وأما الدعاء على الأعضاء فلم يحمى فيه شيء عن النبي ﷺ وإنما جاءت عن السلف دعوات والقصر على الدليل أولى

وفي لفظ (١) [وفيه فتنة القبر وعذاب النار]

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقال [اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدا وغائبا وصغيرنا وكبيرنا وذكرونا وأتينا . اللهم من أحبيته منا فأحبه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده] (٢) .

وفي سنن أبي داود أيضا عن وائلة بن الأسقع قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فاسمعه يقول [اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحمد اللهم فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم]

سأل مروان أبا هريرة : كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلي على الجنازة قال (٣) اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام وأنت قبضت روحها وأنت أعلم بسرها وعلايتها جثثناك شفعا فاعفر له رواه الامام أحمد وأبو داود .

(الفصل الرابع والسعون)

(في الذكر إذا قال هجرا أو جرى على لسانه ما يستخط به عز وجل)

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال من حلف منكم فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتبسّدق

(١) أي عند مسلم وقد رواه النسائي والترمذي وابن ماجه بدون هذه الزيادة و (الزول) قرى الضيف (٢) وأخرجه الترمذي والبيهقي والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم .

(٣) في سنن أبي داود بسنده إلى عقبة بن يسار حدثني علي بن شماخ قال شهدت مروان سأل أبا هريرة كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على الجنازة ؟ قال أمع الذي قلت ؟ قال نعم قال كلام كان بينهما قبل ذلك قال أبو هريرة الخ

فكل من حلف بغير الله أشرك حديث صحيح (١)
فهذا كسفرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من حلف بغير الله فقد
أشرك] حديث صحيح

وكسفرة الشرك التوحيد . وهو [كلمة لا إله إلا الله] ومن قال [تعال
أقامرك] فقد تكلم بهجر وحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالمباطل وكسفرة
هذه الكلمة بضد القمار وهو إخراج المال بحق في مواضعه وهو الصدقة
وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه حلفت باللات والعزى
وكان العهد قريبا فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال قد قلت هجرا قل لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وانفتحت عن يسارك سبعا ولا تعد

(الفصل الخامس والستون فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم)

يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم [إن كسفرة الغيبة أن تستغفر
لمن اغتابته تقول اللهم اغفر لنا] وله ذكره البيهقي في الدعوات الكبير وقال
في إسناده ضعف

وهذه المسئلة فيها قولان للعلماء هما روايتان عن الامام أحمد وهما هل
يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمعتاب أم لا بد من إعلامه وتحليله
والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه بل يكفيه الاستغفار وذكره بمحاسن
ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها

وهذا اختار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره والذين قالوا لا بد
من إعلامه جعلوا الغيبة كالحقوق المالية والفرق بينهما ظاهر فان الحقوق
المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظالمه إليه فان شاء أخذها وإن شاء تصدق بها
وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له باعلامه إلا عكس مقصود
الشارع ﷺ فانه يؤغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رى به ولعله يهيج عداوته
ولا يصفو له أبدا وما كان هذا سبيله فان الشارع الحكيم صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

لا يبيحه ولا يجوزهُ فضلاً عن أن يوجبهُ ويأمر به . ومداد الشريعة على تعطيل
المفاسد وتقليلها . لا على تحصيلها وتكميلها . والله تعالى أعلم .

(الفصل السادس والستون)

(فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس وخسوفه)

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إن
الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحاته . فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله
وكبروا وتصدقوا]

وفي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال [بينا أنا أرى بأسهم لي في
حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كسفت الشمس فننذتهم وقلت
لأنظرن ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كسوف الشمس اليوم
فانتهيت إليه وهو زافع يديه يسبح ويحمد ويهلل ويدعو حتى حسر عن الشمس
فقرأ بسورتين وركع ركعتين]

والنبي صلى الله عليه وسلم أمر في الكسوف بالصلاة والعقاة والمبادرة إلى ذكر
الله تعالى والصدقة فإن هذه الأمور تدفع أسباب البلاء (١)

قال الأستاذ الإمام السيد محمد رشيد رضا رحمه الله وجعل الجنة مثواه
البلاء ما يختبر الله تعالى به عباده من بواعث العمل الحسن أو القبيح كما قال
تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة . وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم
يرجعون) ومنظر الخسوف والكسوف من آيات قدرة الله تعالى والنظام في
تدبير ملكه فينبغي أن يكون باعثاً على ذكره وطاعته ألم تر أن الصوات
الخمس مؤقتة بهذه المظاهر في السكون ؟ وليس الخسوف والكسوف من
المصائب أو أسبابها كما تبادر إلى فهم العامى من عبارة المصنف رحمه الله تعالى
بل هما داخلان في معنى قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) ولذلك يعرف
أوقاتهما الحاسبون من علماء الفلك ويحررونها قبل وقوعها مضبوطة بالدقائق
والثواني ويدكرون في تقاويمهم السنوية ما يقع في كل سنة منهما ومدته

(الفصل السابع والستون فيما يقول من ضاع له شيء ويدعو به)
 ذكر علي ابن العيني عن سفيان عن ابن عجلان عن عمرو بن كثير بن أفلح
 قال [كان ابن عمر يقول للرجل اذا أضل شيئاً قل اللهم رب الضالة هادى
 الضالة تهدي من الضلال رد على ضالتي بقدرتك وسلطانك فانها من عطائك
 وفضلك] وفي وجه آخر سئل ابن عمر رضى الله عنه عن الضالة فقال يتوضأ
 ويصلى ركعتين ثم يتشهد ثم يقول [اللهم راد الضالة هادى الضالة تهدي من
 من الضلالة رد على ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك]
 قال البيهقي هذا موقوف وهو حسن

وقيل إن من ضاع له شيء فقال يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه رد على
 ضالتي ردها الله تعالى عليه .

(الفصل الثامن والستون)

(في عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السجدة)

روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال رأيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم [يعقد التسبيح بيمينه] رواه أبو داود

وفي أى البلاد يرى فلا يخطئون لأنهم عرفوا الجبسان الذى وضعه الخالق
 وهو لا يخطئ . ويمكن بيان ما سيحدث من ذلك بعد المثات والألوف من
 السنين ويمكن تخريج كلمة المصنف على الغالب فى استعمال البلاء وهو الشدة
 والعقوبة أى وذلك يدفع أسباب العقاب فى البلاء لعدم التقصير فيما يجب فيه اه
 أقول وهذا لا يمنع أن يكون الخسوف والكسوف مما يخوف الله به
 عباده ليقلعوا عن المعصية ويتوبوا . فى البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم
 لما رأى الخسوف خرج مهتماً يجر رداءه يرى فى وجهه أثر ذلك وكان فى سجوده
 ينفخ ويقول لربه ألم تعدنى أن لا تعذبهم وأنا فىهم وكذلك أيضاً فان الساعة
 تقوم (إذا الشمس كورت) أى أظلم نورها وانطفأ شعارها .

وروت يسيرة (١) إحدى المهاجرات رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ عليكم بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتفسدين الرحمة واعدن بالآ نامل فانهن مسؤولات ومستنطقات (٢) .

﴿ الفصل التاسع والستون ﴾

(في أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن)

ثبت في صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

وفي وجه آخر أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله والله أكبر (٣) وفي أثر آخر أفضل الكلام ما اصطفى الله الملائكة سبحان الله وبحمده

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس

(١) قال الحافظ ابن حجر في التتريب يسيرة بالتصغير ويقال أسيرة بألف أم يأسر صحابية من الانصاريات ويقال من المهاجرت

(٢) رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح

(٣) عزاه السيوطى فى الجامع الصغير إلى الامام أحمد عن رجل وعلم عليه بالصحة وليس فيه بعد القرآن ولا وهن من القرآن وظاهر قول ائصنف بعده وفى أثر آخر أنه ليس بمرفوع فليراجع

(الفصل السبعون في الذكر المضاعف)

في صحيح مسلم عن جويرية أم المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم [خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد ما أضحى وهي جالسة فقال : « ما زلت على الحال التي فارقتك عليها » قالت : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن . سبحان الله عدد خلقه . سبحان الله رضا نفسه . سبحان الله زنة عرشه . سبحان الله مداد كلماته] (١)

وعن سعد بن أبي وقاص [أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسمج به فقال : أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل فقال سبحان الله عدد ما خلق في السماء سبحان الله عدد ما خلق في الأرض . سبحان الله عدد ما بين ذلك . سبحان الله عدد ما هو خالق . والله أكبر مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك ، رواه أبو داود ، والترمذي وقال حديث حسن

(الفصل الحادى والسبعون فيما يقال لمن حصل له وحشة)

روينا في معجم الطبراني عن البراء بن عازب « أن رجلا اشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال : قل سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت فقالها الرجل فأذهب الله عنه الوحشة (٢)

(١) وفي رواية . سبحان الله عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته

(٢) رواه ابن السنى

الفصل الثاني والسبعون

(في الذكر الذي يقوله أو يقال له إذا لبس ثوبا جديدا)

عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال [كان رسول الله ﷺ إذا استعبد ثوبا سماه باسمه قميصا أو إزارا أو عمامة يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له قال أبو نضرة وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأى أحدهم على صاحبه ثوبا قال تبلى ويخلف الله تعالى] ذكره البيهقي (١)

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن جده [أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر] (٢)

الفصل الثالث والسبعون فيما يقال عند رؤية الفجر

روى ابن وهب عن سليمان بن بلال عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان في سفر فبدا له الفجر قال سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ربنا صاحبنا فأفضل علينا عائذا بالله من النار - يقول ذلك ثلاث مرات ويرفع بها صوته] هذا إسناده صحيح على شرط مسلم .

الفصل الرابع والسبعون

(في التسليم للقضاء والقدر بعد بذل الجهد في تعاطي ما أمر به من الأسباب)

قال تعالى ١ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم إذا بوا في الأرض أو كانوا غزاة لو كانوا عندنا ما ماتوا وما تملوا ليعجل ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير

(١) رواه أبو داود وابن حبان وصححه والترمذي وحسنه والنسائي .

(٢) أخرجه أبو داود مطولا في الحمد على الطعام واللباس .

سورة النساء آية ١٥٦ فهم سبحانه عباده أن يتشبهوا بالقائلين لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم [وإياك والوفان اللو تفتح عمل الشيطان] وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ : [المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان - لو - تفتح عمل الشيطان] رواه مسلم .

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ [قضى بين رجلين فقال المقضى عليه لما أدبر حسبنا الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل] فهم الغنبي ﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غنى له عنه فان أعجزه القضاء قال حسبي الله فاذا قال حسبي الله بعد تعاطى ما أمره من الأسباب قالها وهو محمود فانتفع بالفعل والقول وإذا عجز وترك الأسباب وقالها قالها وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله عز وجل فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به .

الفصل الخامس والسبعون

(في جوامع من أدعية النبي ﷺ وتعوذاته لاغنى للبر عنها)
قالت عائشة [كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك] .

وفي المسند . وسنن النسائي وغيرهما [أن سعدا سمع ابشا له يقول اللهم إني أسألك الجنة وغرفها وكذا وكذا ، وأعوذ بك من النار وأغلها وسلاسلها . فقال سعد رضي الله عنه . لقد سألت الله خيرا كثيرا وتعوذت به من شر كثيرا ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول سيكون قوم يعتدون (١٣ - وابل)

في الدعاء ، ويحسبك أن تقول اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم .

وفي مسند الامام أحمد . وسنن النسائي عن ابن عباس قال : (كان من دعاء النبي ﷺ رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي وانصرني علي من بغى علي رب اجعلني لك شكرا لك ذكرا لك رهبا لك محببا اليك أو اها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي (١) وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسئل سخيمة قلبي) هذا حديث صحيح ورواه الترمذي وحسنه وصححه .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال [كنت أخدم النبي ﷺ فكنت أسمعه يكثر أن يقول اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال] (٢) .

وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال [لا أقول لسمك إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهزم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها . زكها أنت خير من زكاها ، إنك وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها] (٣) وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو [اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة الحيا والمات . اللهم إني أعوذ بك من المأثم

(١) بفتح الحاء وتضم أى ائني

(٢) الضلع بفتح الضاد واللام الثقيل والدين بفتح الدال

(٣) في صحيح مسلم [اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها] .

والمغرم فقال قائل : ما أكثر ما تستعيز من المغرم ؟ قال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف]

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال [كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، ومن تجاة نعمتك وم جميع سخطك]

وفي الترمذى عن عائشة قالت قلت [يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أسأل قال قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني] قال الترمذى صحيح وفي مسند الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار وسولوا الله المعافاة فإنه لم يؤت رجل بعد اليقين خيراً من المعافاة] وفي صحيح الحاكم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سئل الله عز وجل شيئاً أحب إليه من أن يسئل عافية]

وذكر الفرياني فى كتاب الذكر من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال [جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أى الدعاء أفضل قال تسأل الله العفو والعافية فإذا أعطيت ذلك فقد أفلحت]

وفي الدعوات للبيهقى عن معاذ بن جبل قال [مر رسول الله ﷺ برجل يقول اللهم إنى أسألك الصبر . قال سألت الله البلاء فسل العافية . ومر برجل يقول اللهم إنى أسألك تمام النعمة فقال وما تمام النعمة قال سألت إنا أرجو الخير قال له تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة]

وفي صحيح مسلم عن أبى مالك الأشجعى رضى الله عنه قال [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم من أسلم أن يقول اللهم اهدنى وارزقنى وعافنى وارحنى]

وفي المسند عن بسر بن أرطاة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم أحسن عاقبتنا الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة [

وفي المسند. وصحيح الحاكم عن ربيعة بن عامر عن النبي ﷺ [الظوا بياذا الجلال والاكرام] أى الزموها وداوموا عليها .

وفي صحيح الحاكم أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم [أتحبون أمها الناس أن يجتهدوا فى الدعاء ؟ قالوا نعم يا رسول الله .

قال قولوا اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك]
وفي الترمذى وغيره [أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى معاذا أن يقولها

دين كل صلاة]
وفي صحيحه أيضا عن أنس قال [كننا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى

حلقة ورجل قائم يصلى فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال فى دعائه اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله الا أنت بديع السموات والارض باذا الجلال والاكرام

ياحى ياقيوم فقال النبي ﷺ لقد سال الله باسمه العظيم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى]

وفي المسند وصحيح الحاكم أيضا عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم [يا شداد إذا رأيت الناس يكتزون الذهب والفضة

فاكزهم هؤلاء الكلمات اللهم إني أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا

وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب]

وفي الترمذى أن حصين بن المنذر الخزاعى رضى الله عنه قال له النبي ﷺ [كم تعبد إلهًا ؟ قال سبعة - ستة فى الارض وواحد فى السماء قال فمن تعدل رغبتك

ووجهك ؟ قال الذى فى السماء قال : أما لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعا نك - فلما أسلم قال : يا رسول الله علمنى الكلمتين قال

قل : اللهم ألهمني رشدي وفقى شر نفسي ، حديث صحيح ، وزاد الحاكم في صحيحه [اللهم قنى شر نفسي ، واعزم لى على أرشد أمرى ، اللهم اغفر لى ما أسررت وما أعلنت . وما أخطأت ، وما تعمدت ، ما علمت ، وما جهلت] واسناده على شرط الصحيحين .

وفى صحيح الحاكم عن عائشة قالت : [دخل على أبو بكر رضى الله عنهما فقال : هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء عليه ؟ قلت : ما هو ؟ قال : كان عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم يعله أصحابه قال : لو كان على أحدكم جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه . اللهم فارح الهم . كاشف الغم . يجيب دعوة المضطرين . رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها أنت ترحمني فارحمي رحمة تغني بها عن رحمة من سواك] .

وفى صحيحه أيضا عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم [هذا ما سأل محمد ربه اللهم إني أسألك خير المسألة ، وخير الدعاء ، وخير النجاح ، وخير العمل ، وخير الثواب ، وخير الحياة ، وخير المات ، وثقتى ، وثقل موازينى ، وحقق إيمانى وارفع درجتى وتقبل الحير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين . اللهم إني أسألك خير ما آتى وخير ما أفعل وخير ما بطن وخير ما ظهر ، اللهم إني أسألك أن ترفع ذكرى وتضع وزرى وتصلح أمرى وتطهر قلبى وتحصن فرجى وتنور لى قلبى وتغفر لى ذنبى وأسألك أن تبارك لى فى نفسى وفى سمعى ، وفى بصرى ، وفى روحى ، وفى خلقى ، وفى أهلى ، وفى محيى وفى مماتى ، وفى عملى وتقبل حسناتى ، وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين] .

وفى صحيحه أيضا من حديث معاذ قال [أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس ثم خرج فصلى بنا فخفض ثم أقبل علينا بوجهه فقال على مكانكم أخبركم ما بطأنى عنكم اليوم ، إني

صليت في ليلتي هذه ما شاء الله ثم ملسكتني عيني ففتمت فرأيت ربى تبارك
وتعالى فاهمنى ان قلت . اللهم إني أسألك الطيبات ، وفعل الخيرات ، وبرك
المنكرات ، وحب المساكين وأن تقرب على وتغفر لى وترحمى ، وإذا
أردت فى خلقك فتنة فنجنى اليك منها غير مفتون اللهم وأسألك حبك وحب
من يحبك وحب عمل يبلغنى إلى حبك ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال : تعلمون وإدسوهن فانه حق ورواه الترمذى والطبرانى .
وابن خزيمة . وغيرهم بألفاظ آخر .

وفى صحيح الحاكم أيضا عن ابن عباس قال كان النبى ﷺ يدعو [اللهم متعنى
بما رزقتنى وبارك لى فيه واخلف لى على كل غائبة لى بخير] .
وفيه عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول
[اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وارزقنى علما ينفعنى] .

وفيه أيضا عن عائشة [أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرها أن
تدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم
أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت وما لا أعلم وأسألك الجنة
وما قرب اليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار ما قرب اليها من قول أو عمل
وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد وأسألك ما قضيت لى من أمر
أن تجعل عاقبته رشدا] .

وفيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى سلمان
الخير فقال له [إني أريد أن أمنحك كلمات تسألهن الرحمة وترغب اليه فيهن
وتدعو بهن فى الليل والنهار قل اللهم إني أسألك صحة فى إيمان وإيمان
فى حسن خلق ونجاحا يتبعه صلاح ورحمة منك وعافيسه ومغفرة منك
ورضوانا] .

وفيه عن أم سلمة عن النبى ﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الدعوات [اللهم أنت
الأول لا شئ قبلك وأنت الآخر لا شئ بعدك أعوذ بك من شر كل دابة

ناصيتها بيدك وأعوذ بك ومن الإثم والكسل ومن عذاب القبر ومن فتنة
الغنى ومن فتنة القبر وأعوذ بك من المأثم والمغرم اللهم تق قلبي من الخطايا
كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس اللهم بعد بيني وبين خطيئتي كما بعدت بين
المشرق والمغرب .

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح الحاكم أيضا عن عمار بن ياسر رضي الله عنه
أنه صلى صلاة أوجز فيها فقيل له في ذلك قال : لقد دعوت الله ، فيها بدعوات
سمعتن من رسول الله ﷺ [اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني
ما علمت الحياة خيرا لي اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك
كلمة الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما
لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد
العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك وأسألك الشوق إلى لقائك
من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين]
وفي صحيح الحاكم أيضا عن ابن مسعود قال . كان من دعاء رسول الله ﷺ
[اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل ما
والغنيمة من كل برف والفوز بالجنة والنجاة من النار]

وفيه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يدعو [اللهم
احفظني بالإسلام قائما واحفظني بالإسلام قاعدا واحفظني بالإسلام راقدا
ولا تشمت بي عدوا حامدا اللهم إني أسألك من خير خزائنه بيدك وأعوذ بك
من شر خزائنه بيدك]

وعن النواس بن سميان سمعت رسول الله ﷺ يقول [ما من قلب إلا
بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاعه] .
وكان رسول الله ﷺ يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك والميزان
بيد الرحمن عز وجل يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة [حديث
صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم في صحيحه .

وفي صحيح الحاكم أيضاً عن ابن عمر أنه لم يكن يجلس مجلساً كان عنده أحد
ولم يكن الا قال: [اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت
وما أسرفت وما أنت أعلم به مني اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين
معصيتك وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك وارزقني من اليقين ما تهون
به علي مصائب الدنيا وبارك لي في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني اللهم
اجعل ثاري على من ظلمني وانصرني على من عاداني ولا تجعل الدنيا أكبر همي
ولا مبلغ علمي اللهم لا تسلط علي من لا يرحمني] فستل عن ابن عمر فقال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يختم بهن مجلسه .

* * *

والحمد لله رب العالمين حمدا طيبا مباركا كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي
لكرم وجهه وعز جلاله ملء سمواته وملء أرضه وملء ما بينهما وملء ما شاء
من شيء بعد حمدا لا يقطع ولا يبيد ولا يفنى عدد ما حمده الحامدون وعدد ما غفل
عن ذكره الغافلون وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله وخيرته
من بريته وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده فاتح أبواب الهدى ومخرج
الناس من الظلمات إلى النور يأذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الذي بعثه بالإيمان
مناديا وإلى الصراط المستقيم هاديا وإلى جنات النعيم داعيا وبكل المعروف آمرا
وعن كل منكر ناهيا فأحيا به القلوب بعد ثمانها وأثارها بعد ظلماتها وألف بينها
بعد شتاتها فدعا إلى الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وجاهد
في الله تعالى حق جهاده حتى عبد الله وحده لا شريك له وسارت دعوته سيرة الشمس
في الاقطار وبلغ ديته الذي ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار وصلى الله عز وجل
وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا إليه وسلم تسليما هـ .

(تم الكتاب)

فهرست الكتاب

صفحة

- ٢ بيان أن العبد دائما يتقلب بين أطباق ثلاث : الأول نعم من الله تعالى والثاني محن يتقلب بها ففرضه فيها الصبر والتسلي ٢ تفسير الصبر
- ٤ بيان أن آدم عليه السلام كان من أحلم الخلق وأرجحهم عقلا وأثبتهم ومع هذا قلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيه الخ
- ٦ بيان أن العبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها
- ٦ فصل في بيان أن الإنسان لا يستقيم إلا باستقامة قلبه وجوارحه
- ٦ استقامة القلب بشيئين وبيانها
- ٩ كلام الأستاذ الامام الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله وجعل الجنة مأواه في قول أهل الدعاية العاقلين أن جحي صام يوم عاشوراء إلى الظهر وقال يكفيني ستة أشهر .
- ١١ من أهم ما ينبغي للعبد معرفته والتفتيش عنه ما يفسد الاعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها .
- ١٣ بيان أن الحسنات والسيئات تدافع وتتقابل ويكون فيها للغالب
- ١٤ فصل في علامات تعظيم المناهي والنهي :
- ١٥ المقصود للإنسان أن لا يترخص ترخيها جافيا ولا يشدد تشديدا غال وإيراد أمثلة في ذلك
- ١٧ بيان الله سبحانه وتعالى لم يأمر بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان وذكرهما تفصيلا
- ١٩ ما أشد اعناء المولى جل جلاله بعبدہ والاحسان اليه
- ٢٠ أمر المؤلف من اطلع على كتابه هذا أن يتأمل قوله ﷺ [إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كابق من يومكم هذا فيما مضى منه] الحديث الخ

وكان ذلك عند الغروب :

- ٢٢ إيراد حديث رواه الامام أحمد رضى الله عنه [ان الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات] الحديث وشرحه المصنف بما يشرح الصدر ويلين القلب ويهذب النفس
- ٢٥ بيان أن للظلم عند الله تعالى يوم القيامة دواوين ثلاثة
- ٢٦ مثال حال من يلتفت في صلاته
- ٢٩ بيان أن ما يقبل من العمل قسمان
- ٣٠ للناس في صلاتهم على مراتب خمسة وإيرادها مفصلة
- ٣١ فصل في تقسيم القلوب إلى ثلاثة
- ٣٤ شرح قوله في الحديث المتقدم الذي رواه الامام أحمد [وأمركم بالصيام] فان مثل ذلك مثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك [الخ
- ٣٥ اختلاف العلماء في أن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك هل هو في الدنيا أو في الآخرة وتحقيق ذلك بأدلة عقلية وعقلية
- ٤١ فصل في الكلام على قوله في الحديث المتقدم [وأمركم بالصدقة] فان مثل ذلك مثل رجل أسره العدو [الخ
- ٤٤ بيان الفرق بين الشح والبخل
- ٤٧ الكلام على قوله عليه السلام في الحديث المتقدم [وأمركم أن تذكروا الله] فان مثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً [الخ
- ٥٢ بيان أن صدأ القلب يكون بأمرين
- ٥٣ في ذكر الله عز وجل أكثر من مائة فائدة وسردها واحدة واحدة
- ٥٧ الفائدة الثانية والثلاثون أنه غراس الجنة ودليل ذلك
- من الأعمال وبرهان ذلك
- ٥٩ الرابعة والثلاثون أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان

- ٦٤ الخامسة والثلاثون أن الذكر يسير العبد وهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته وسقمه الخ
- ٦٥ الفائدة السادسة والثلاثون أن الذكر نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط الخ
- ٦٧ كلام الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ رشيد رضا في أن أهل النظر المشتغلين بالفلسفة اليونانية كانوا يتناولون جميع الآيات والأحاديث الواردة في صفات الرب وينسكرون على علماء الأثر الأخذ بطواهرها الخ
- ٦٨ تفسير قوله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) الآية
- ٧١ ضرب الله جل جلاله المثل المائي والناري معا وبينهما مفصلا
- ٧٦ تقسيم الغيبي صلى الله عليه وسلم الناس من حيث الهدى والعلم ثلاث طبقات
- ٧٦ الفرق بين ابن عباس حبر الامة وأبي هريرة حافظ الامة
- ٧٨ طبقات العلماء بعد الصحابة رضي الله عنهم ثلاث طبقات وبيانا مفصلا
- ٨٢ تفسير قوله تعالى (كل يوم هو في شأن)
- ٨٥ الفائدة السابعة والثلاثون أن الذكر رأس الاصول
- ٨٦ الفائدة الثلاثون في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله عز وجل
- ٨٦ الفائدة التاسعة والثلاثون أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع الخ
- ٨٦ الفائدة الاربعون أن الذكر ينبه القلب من نومه
- ٨٧ الحادية والاربعون أن الذكر شجرة تثمر المعارف والاحوال الخ
- ٨٨ الثانية والاربعون أن الذاكر قريب من مذكوره ومذكوره معه الخ
- ٩٠ الثالثة والاربعون أن الذكر يعدل حقق الرقاب وثققة الاموال
- ٩١ الرابعة والاربعون أن الذكر رأس الشكر
- ٩٢ الخامسة والاربعون أن أكرم الخلق على الله تعالى من المهتمين من لا يزال لسانه رطبا بذكره

- ٩٣ السادسة والاربعون أن في القلب قسوة لا يذيقها إلا ذكر الله
- ٩٣ السابعة والاربعون أن الذكر شفاء القاب ودواؤه والغفلة مرضه
- ٩٤ الثامنة والاربعون أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها
- ٩٤ التاسعة والاربعون أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله
- ٩٤ الخسوس أن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذكر
- ٩٥ الحادية والخسوس أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر
- ٩٥ الثانية والخمسون أن مجالس الذكر مجالس الملائكة
- ٩٦ الثالثة والخسوس أن الله عز وجل يباهي ملائكته بالذاكرين
- ٩٧ الرابعة والخسوس أن مدام الذكر يدخل الجنة وهو يضحك
- ٩٧ الخامسة والخسوس أن جميع الاعمال إنما شرعت لإقامة لذكر الله تعالى
- ٩٩ السادسة والخسوس أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكر الله
- ٩٩ السابعة والخسوس أن إدامته تنوب عن التطوعات
- ١٠٠ الثامنة والخسوس أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته
- ١٠١ التاسعة والخسوس أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب ويسر العسير
- ١٠١ الفائدة الستون أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه
- ١٠١ الحادية والستون أن الذكر يعطى الذكر قوة الخ
- ١٠٢ الثانية والستون أن عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق والذاكرون هم أسبقهم
- ١٠٤ الثالثة والستون أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده
- ١٠٤ الرابعة والستون أن دور الجنة تبني بالذكر
- ١٠٥ الخامسة والستون أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم

- ١٠٥ السادسة والستون أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب
- ١٠٦ السابعة والستون أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله وجل
- ١٠٦ الثامنة والستون أن كثرة ذكر الله وجل أمان من النفاق
- ١٠٧ التاسعة والستون أن المذكر من بين الاعمال لذة لا يشبهها شيء
- ١٠٧ الفائدة السبعون أن الذكر يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونورا في الآخرة
- ١٠٧ الحادية والسبعون أن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والسفر والبقاء تكثيرا للشهود العبد
- ١٠٨ الثانية والسبعون أن في الاشتغال بالذكر اشتغالا عن الكلام الباطل الخ
- ١٠٨ الثالثة والسبعون أن الشياطين قد احتوشت العبد
- ١٠٨ شرح حديث عبد الرحمن بن سمرة بن جندب وفيه [ورأيت رجلا من أمي قد احتوشته الشياطين] الخ
- ١١٦ ذكر فصول نافعة تتعلق بالذكر تكميلا للفائدة
- ١١٦ تقسيم الذكر إلى نوعين
- ١١٨ الفصل الثاني في بيان أن الذكر أفضل من الدعاء
- ١٢١ الفصل الثالث قراءة القرآن أفضل من الذكر والذكر أفضل من الدعاء
- ١٢٤ الفصل الاول في الاذكار الموظفة وفيه أصول
- ١٢٤ الفصل الاول في ذكر طرفي النهار
- ١٢٨ الفصل الثاني في أذكار النوم
- ١٣٢ الفصل الثالث في أذكار الانتباه من النوم
- ١٣٣ الفصل الرابع في أذكار الفزع والاروق في النوم والفكر
- ١٣٤ الفصل الخامس في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها
- ١٣٥ الفصل السادس في أذكار الخروج من المنزل
- ١٣٥ الفصل السابع في أذكار دخول المنزل

- ١٣٦ الفصل الثامن في أذكار دخول المسجد والخروج منه
- ١٣٦ الفصل التاسع في أذكار الأذان
- ١٣٨ الفصل العاشر في أذكار الاستفتاح
- ١٤١ الفصل الحادى عشر في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما الخ
- ١٤٤ الفصل الثانى عشر في أدعية الصلاة بعد التشهد
- ١٤٦ الفصل الثالث عشر في الأذكار المشروعة بعد السلام
- ١٤٧ الفصل الرابع عشر في ذكر التشهد
- ١٥٠ الفصل الخامس عشر في ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
- ١٥٢ الفصل السادس عشر في الاستخارة
- ١٥٣ الفصل السابع عشر في أذكار الكرب والغم والحزن والهم
- ١٥٤ الفصل الثامن عشر في الأذكار الجالبة للرزق والدافعة للضيق والأذى
- ١٥٥ الفصل التاسع عشر في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف سلطانا وغيره
- ١٥٦ الفصل العشرون في الأذكار التى تطرد الشيطان
- ١٥٧ الفصل الحادى والعشرون في الذكر الذى تحفظ به النعم الخ
- ١٥٧ الفصل الثانى والعشرون في الذكر عند المصيبة
- ١٥٩ الفصل الثالث والعشرون في الذكر الذى يدفع به الدين ويرجى قضاؤه
- ١٥٩ الفصل الرابع والعشرون في الذكر الذى يرقى به من اللسعة والدغة
- ١٦١ الفصل الخامس والعشرون في ذكر دخول المقابر
- ١٦٢ الفصل السادس والعشرون في ذكر الاستسقاء
- ١٦٣ الفصل السابع والعشرون في أذكار الرياح إذا هاجت
- ١٦٤ الفصل الثامن والتاسع والعشرون في الذكر عند الرعد ونزول الغيث
- ١٦٥ الفصل الثلاثون في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه
- ١٦٦ الفصل الحادى والثانى والثلاثون في الذكر عند رؤية الهلال والصائم عند فطره ما يقول

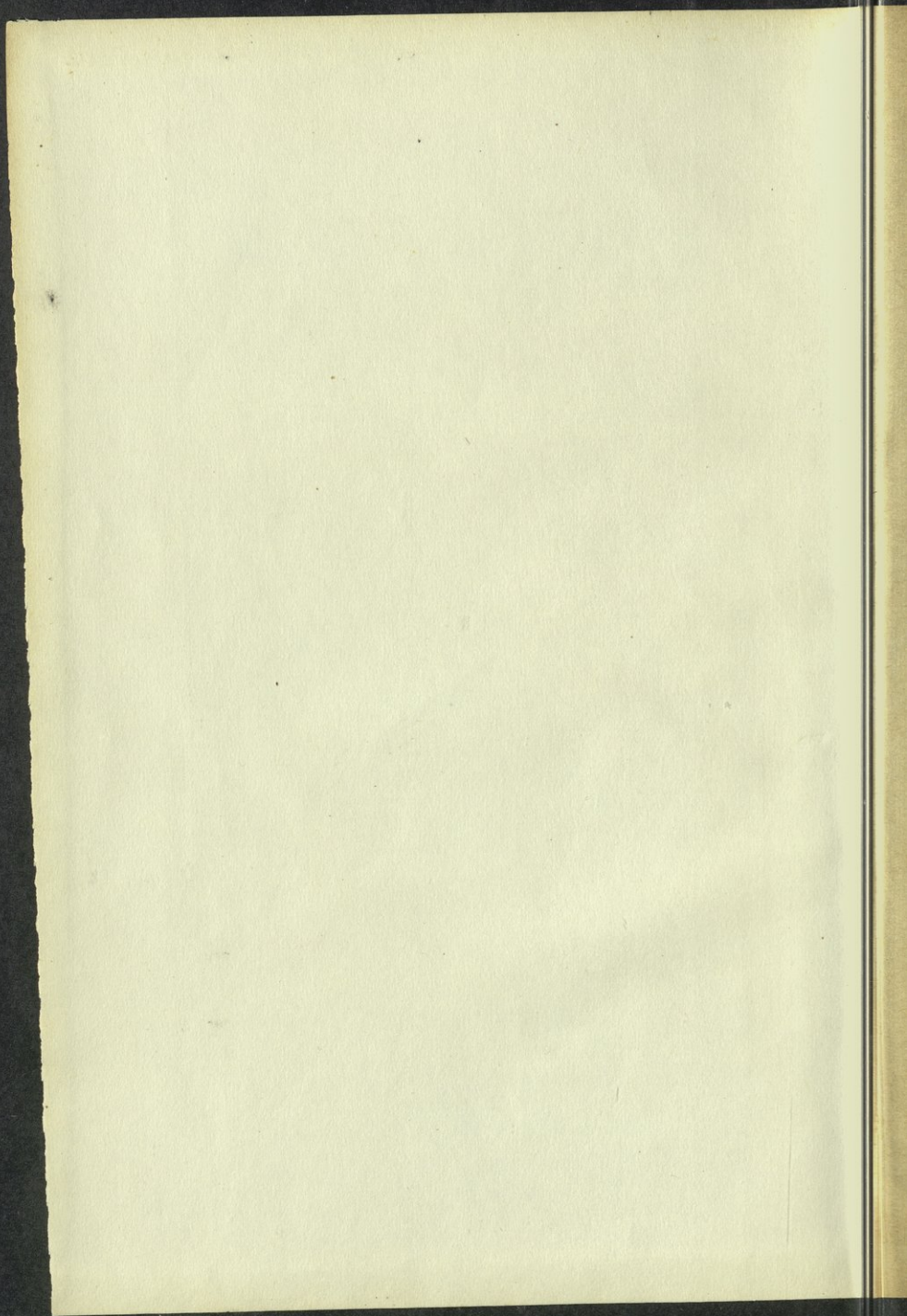
- ١٦٧ الفصل الثالث والثلاثون في أذكار السفر
١٦٨ الفصل الرابع والثلاثون في ركوب الدابة والذكر عنده
١٦٩ الفصل الخامس والسادس والثلاثون في ذكر الرجوع من السفر الخ
الفصل السابع والثلاثون في الدابة إذا انقلبت
١٧٠ الفصل الثامن والتاسع والثلاثون في الذكر عند القرية والبلدة إذا أراد
دخولها وكذلك المنزل إذا أراد نزوله
١٧٠ الفصل الأربعون في ذكر الطعام والشراب
١٧٢ الفصل الحادي والأربعون في ذكر الضيف إذا نزل بقوم
١٧٣ الفصل الثاني والأربعون في السلام
١٧٤ الفصل الثالث والأربعون في الذكر عند العطاس
١٧٥ الفصل الرابع والأربعون في ذكر النكاح والتمنئة به الخ
١٨٦ الفصل الخامس والأربعون في الذكر عند الولادة الخ
١٧٨ الفصل السادس والسابع والثامن والأربعون في صياح الديكة والتمهيق
والنباح وما يطقأ به الحريق وكفارة المجلس
١٧٩ الفصل التاسع والأربعون فيما يقال ويفعل عند الغضب
الفصل الخمسون والحادي والثاني والخمسون فيما يقال عند رؤية أهل البلاء
وعند دخول السوق وإذا خدرت رجل الرجل
١٨٠ الفصل الثالث والرابع والخامس في الدابة إذا عثرت وفيمن أهدى
هدية أو تصدق بصدقة فدعا له ما ذا يقول ؟ الخ
١٨١ الفصل السادس والسابع والخمسون في رؤية باكورة الثمرة وفي الشيء
يراه ويعجبه ويخاف عليه العين
١٨٢ الفصل الثامن والخمسون في الفأل والطيرة
١٨٣ الفصل التاسع والخمسون والستون في الحمام وعند دخول الخلاه الخ

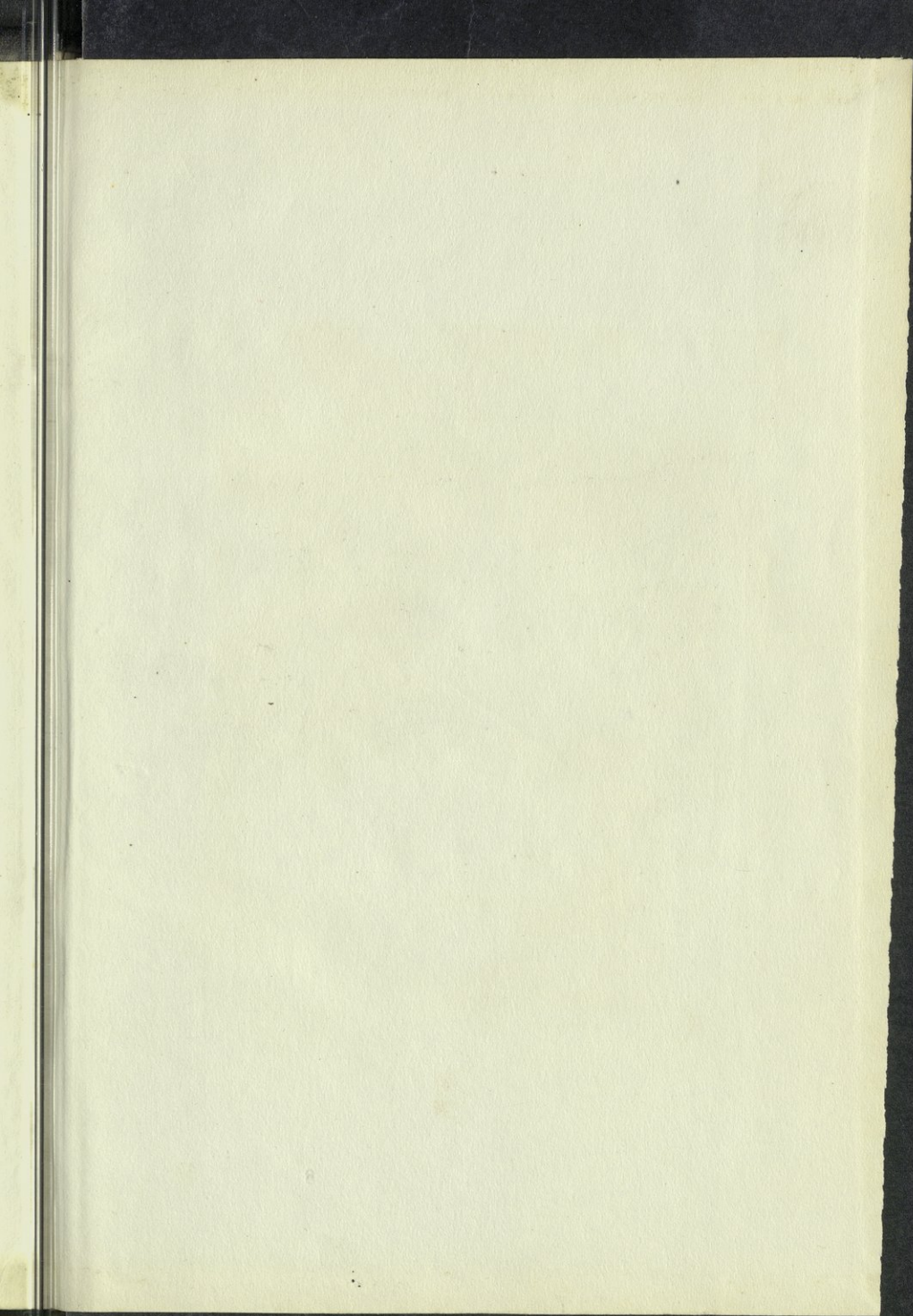
صفحة

- ١٨٤ الفصل الحادى والثانى والستون فى الذكر عند إراة الوضوء الخ
- ١٨٥ الفصل الثالث والستون فى ذكر صلاة الجنابة
- ١٨٦ الفصل الرابع والخامس والستون فى الذكر إذا قال هجرا أو جرى على لسانه ما يستخط به وفيما يقول من اغتاب أخاه المسلم
- ١٨٨ الفصل السادس والستون فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس الخ كلام الأستاذ المرحوم السيد رسيد رضا فى خسوف القمر الخ
- ١٨٩ الفصل السابع والثامن والستون فيما يقول من ضاع له شيء ويدعو به وفى عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السبحة
- ١٩٠ الفصل التاسع والستون فى أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن
- ١٩١ الفصل السبعون والحادى والسبعون فى الذكر المضاعف وفيما يقال لمن حصل له وحشة
- ١٩٢ الفصل الثالث والرابع والسبعون فى الذكر الذى يقوله أو يقال له إذا لبس ثوبا جديدا وفيما يقال عند رؤية الفجر وفى التسليم للقضاء والقدر بعد بذل الجهد فى تعاطى ما أمر به من الأسباب
- ١٩٤ الفصل الخامس والسبعون فى جوامع من أدعية النبى ﷺ وتعوذاته لاغنى البر عنها

(تم الفهرست)

طبع بإذن من عبد الهادى وأبو بكر منير نجلى المرحوم الشيخ محمد منير الدمشقى
فى ٢١/٧/١٩٥٢ ومسجل تحت نمرة ٢٧٥





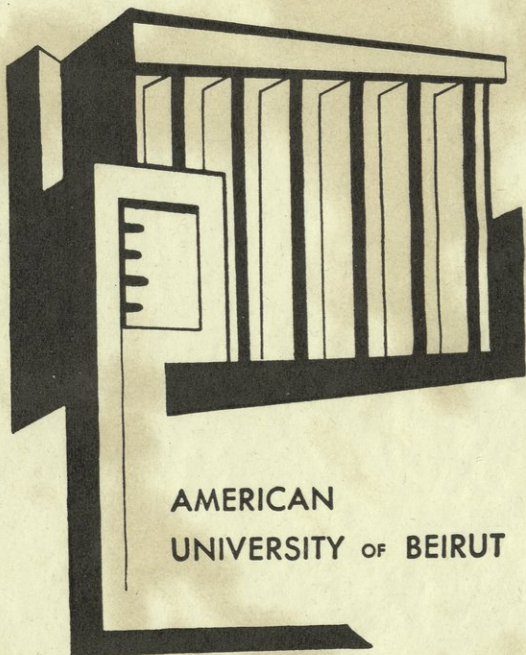
297.4:113WA:c.1

ابن قيم الجوزية ، ابو عبد الله محمد ب
الوابل الصيب من الكلم الطيب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01005384



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

